كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

رواية

(الجوهرة والقبطان)

لزوينة الكلباني

دراسة في جماليات التشكيل الفني

إعداد

د/ سيد أحمد عبد الرحمن محمد

الأستاذ المساعد في كلية العلوم والآداب بالقريات ــ
جامعة الجوف بالمملكة العربية السعودية
والمدرس في كلية اللغة العربية بجرجا

(العدد التاسع والثلاثون)

(الإصدار الثاني ـ الجزء الأول)

(١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م)

بسم الله الرحمن الرحيم

رواية (الجوهرة والقبطان) لزوينة الكلباني ـ دراسة في جماليات التشكيل الفني

سيد أحمد عبد الرحمن محمد

قسم اللغة العربية – كلية العلوم والآداب بالقريات – جامعة الجوف بالمملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : saabdelrahman@ju.edu.sa

الملخص

تأتي هذه الرواية ضمن إطار تلك الروايات القليلة وربما النادرة في أدبنا السردي العربي وخاصة الخليجي منه ، والتي جعلت من البحر بيئتها الرئيسية التي تدور فيها جميع أحداثها وتفاصيلها. ومن هنا تتجلى لنا أهمية رواية (الجوهرة والقبطان) التي أثبتت مقدرتها الفنية والأدبية في رصدها للتاريخ البحري والملاحي لمنطقة الخليج العربي وسكانها في الزمان السابق ، وعلاقة هذا الماضي بحاضرهم ومستقبلهم. أما فيما يخص البناء الفني لهذه الرواية ، فقد اعتمدت بشكل واضح على الواقعية ، بدليل اعتمادها على (تأريخ) الأحداث وزمانها ومكانها بالأيام والشهور والسنين ، كما اعتمدت أيضا على أسلوب الراوي المشارك في سردها لهذه الأحداث وتفاصيلها الدقيقة ، حتى بدا للقارئ وكأن الراوي نفسه جزء من الحدث وبنيته ، ولا يمكن فصله عنه ، على الرغم من كونه ليس مشاركا فيه – فعليا – على أرض الواقع ، وإنما وجوده فيه كان ملا حظا بشكل غير مباشر .

الكلمات المفتاحية : رواية – الجوهرة والقبطان – زوينة الكلباني – دراسة – التشكيل الفني.

The novel (the jewel and the captain) by Zwina al-Kalbani
A study in the aesthetics of artistic formation

Syed Ahmed Abdul Rahman Mohammed
the department of Arabic language , College of Science and Arts in Qurayyat , University of Al-Jouf, Saudi Arabia
Email :

Abstract

This novel comes within the framework of those few and perhaps rare novels in our Arab narrative literature, especially the Gulf, from it, which made the sea its main environment in Hence the importance which all its events and details revolve. of the novel (Al-Jawhara and Al-Qubtan), which proved its artistic and literary ability in its monitoring of the maritime and maritime history of the Arab Gulf region and its inhabitants in the previous time, and the relationship of this past to their As for the artistic construction of this .present and future novel, it clearly depended on realism, as evidenced by its reliance on (history) of events, their time and place in days, months, and years, and also relied on the narrator's method of narrating these events and their precise details, until the reader seemed as if the narrator himself was part of The event and its structure cannot be separated from it, even though it is not actually involved in it on the ground, but its presence in it was indirectly fortunate

Keywords: novel, the jewel and the captain, Zwina al-Kalbani , study, artistic formation

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

فالرواية تعد من أبرز الفنون النثرية ، وذلك لما تحويه من مواضيع مختلفة فهي تصوير للواقع بكل جوانبه الثقافية والاجتماعية والسياسية والدينية ، كما أنها مشحونة بالأساليب والأفكار البناءة ...ويمكن أن يطلق عليها أم الفنون ؛ لأنها تبلور الوعي الإنساني .

فالراوي في كتاباته للرواية يعتمد على عناصر قيمة تجسد الزمان والمكان واللغة والشخصيات ، وهذه العناصر أساسية في الرواية وبدونها لا تتطور الأحداث ، ولا يكون هناك عنصر التشويق للقارئ ، وبهذا فالرواية مزج للوجدان بأحداث الواقع ..

وهذه الرواية" الجوهرة والقبطان " لكاتبة من سلطنة عُمان سبق لها أن أصدرت روايتين أولاهما بعنوان " ثالوث وتعويذه " والثانية بعنوان " في كهف الجنون تبدأ الحكاية " وكلتاهما صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت ، أما الرواية التي نحن بصدد الحديث عنها- ها هنا- فهي من إصدارات بيت الغشام للترجمة والنشر في مسقط.(٢٠١٤)

وتقوم حبكتها السردية على حكاية واقعية حقيقية للسفينة الشراعية الأثرية القديمة التي غرقت في البحر أثناء إحدى رحلاتها في القرن التاسع الميلادي، وتم اكتشافها والعثور على بقاياها من قبل فريق عمل رسمي متكامل متخصص في البحث عن الآثار البحرية عام ١٩٨٨م ، ومن ثم استخراج ما تبقى من هيكل هذه السفينة من قاع البحر ، وإعادة بنائها وترميمها من جديد لتنطلق في رحلة جديدة أيضا من بلدها الأصلي (عمان) إلى مرفئها الأول بمدينة (كوتشين) بجمهورية

(الهند) . [1] سعيا من الكاتبة لتوثيق التاريخ البحري العماني ، ونقل أمجاده التي يحملها عبق التاريخ بسطور فخر من الأجداد إلى الأبناء ..

وتأتي هذه الرواية ضمن إطار تلك الروايات القليلة وربما النادرة في أدبنا السردي العربي وخاصة الخليجي منه ، والتي جعلت من البحر بيئتها الرئيسية التي تدور فيها جميع أحداثها وتفاصيلها .. ومن هنا تتجلى لنا أهمية رواية (الجوهرة والقبطان)التي أثبتت مقدرتها الفنية والأدبية في رصدها للتاريخ البحري والملاحي لمنطقة الخليج العربي وسكانها في الزمان السابق ، وعلاقة هذا الماضي بحاضرهم ومستقبلهم .

أما فيما يخص البناء الفني لهذه الرواية ، فقد اعتمدت بشكل واضح على الواقعية ، بدليل اعتمادها على (تأريخ) الأحداث وزمانها ومكانها بالأيام والشهور والسنين ، كما اعتمدت أيضا على أسلوب الراوي المشارك في سردها لهذه الأحداث وتفاصيلها الدقيقة ، حتى بدا للقارئ وكأن الراوي نفسه جزء من الحدث وبنيته ، ولا يمكن فصله عنه ، على الرغم من كونه ليس مشاركا فيه – فعليا – على أرض الواقع ، وإنما وجوده فيه كان ملا حظا بشكل غير مباشر .

وقد كان سبب اختياري لدراسة رواية (الجوهرة والقبطان) لزوينة الكلباني ، أنها رواية مغامرات تعليمية تنمي لدى الناشئة الحس الوطني من جهة والتشبث بقيم الطموح وحب المغامرة والصمود في مواجهة الاخطار الشديدة من جهة أخرى ، فضلا عن التعرف أكثر على الروائيين والكتاب غير المعروفين لدي؛ فيدفع الفضول لقراءة روايةٍ ما ؛ لعلها تنبئ عن كاتب حقيقي ذي موهبة تفرق بين الرواية وغيرها من أصناف الكلام المكتوب ، وهذا ما وجدته في

(١) ينظر رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ٨٩ ، ٩٠ ط دار بيت الغشام للنشر والترجمة (سلطنة عمان – مسقط) الأولى ٢٠١٤م

رواية (الجوهرة والقبطان) للكاتبة العمانية زوينة الكلباني ، أداءً لواجب تفرضه دواعي الإنصاف .

وقد جعلت عنوان الدراسة: (رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني دراسة في جماليات التشكيل الفني)

وأما عن هيكل هذه الدراسة ؛ فقد جاء في ستة مباحث ، سبقت بتمهيد ، وأردفت بالخاتمة .

التمهيد : تحدثت عن الكاتبة ورواية الجوهرة والقبطان.

المبحث الأول : : تحدثت عن عتبات النص في الرواية .

المبحث الثاني : تناولت الشخصية وتشكيلها في الرواية

المبحث الثالث : تناولت بنية الزمان ودوره في تشكيل الرواية

المبحث الرابع : تناولت بنية المكان ودوره في تشكيل الرواية .

المبحث الخامس : تحدثت عن اللغة ودورها في تشكيل الرواية .

المبحث السادس : تحدثت عن الأسلوب ودوره في تشكيل الرواية .

الخاتمة : وفيها أبرز نتائج الدراسة .

وهذه الدراسة لا أدعى لها الكمال ، ولا الاقتراب منه ، ولكنى أراها خطوات في طريق راشد تضاف إلى جهود الباحثين في ميدان الأدب العربي ، علنا من بعد نواصل الخُطَا ونتبع الهداة ، وتكون مسيرتنا باسم الله في الأدب والفكر والحياة .

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل ،،،

التمهيد

الكاتبة [1] ورواية الجوهرة والقبطان " إطلالة موجزة " :

الروائية زوينة بنت سعيد بن راشد الكلباني .. الشهرة : زوينة الكلباني.

حصلت على بكالوريوس تربية (تخصص لغة عربية) بتقدير جيد جدًا من جامعة السلطان قابوس، وعلى ماجستير مناهج وطرائق تدريس لغة عربية بتقدير جيد جدًا من جامعة السلطان قابوس عام ١٩٩٨م، كما حصلت على درجة الدكتوراه في الدراسات التربوية تخصص (تكنولوجيا التعليم)، بتقدير مرتبة الشرف الأولى من معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة عام ٢٠١٠م.

عملت معلمة لغة عربية في المدارس الإعدادية والثانوية بسلطنة عمان، وعملت مشرفة لغة عربية في مدارس التعليم الابتدائي، والإعدادي، والثانوي، ومدارس التعليم الأساسي في الحلقتين الأولى والثانية.

عضو مناهجَ تعليميةٍ (لغة عربية) بالمديرية العامة لتطوير المناهج، وباحثة تربوية بمكتب وزيرة التربية والتعليم، وخبيرة تربوية في مكتب وزيرة التربية والتعليم.

عملت رئيسة للفريق التنسيقي بين وزارة التربية والتعليم واللجنة الوطنية للشباب عام ٢٠١٣م.

عضو مجلس أمناء المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج منذ عام ٢٠١٣م، وعضوًا في العديد من اللجان التطويرية بوزارة التربية والتعليم بسلطنة عمان.

شاركت في مناقشة العديد من رسائل الماجستير كممتحن خارجي بكلية التربية بجامعة السلطان قابوس وجامعة صحار.

---

(١) ينظر : السيرة الذاتية للكاتبة ، ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، شبكة الإنترنت .

شاركت في تحكيم العديد من المسابقات الأدبية والأنشطة الثقافية بوزارة التربية والتعليم.

شاركت مع مكتب التربية لدول الخليج العربية في إعداد المسابقة الأولى للغة العربية في مكة المكرمة عام ٢٠٠٤م، وتدريب الطلاب على مهارات اللغة العربية.

شاركت مع منظمة اليونسكو بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم في سلطنة عمان في إعداد دراسة حول مراقبة وتقويم تحصيل التعليم في مادة اللغة العربية بالصف الأول الثانوي (العاشر) للعام الدراسي ٢٠٠٠/٢٠٠١م.

شاركت في وضع معايير المناهج العمانية عام ٢٠١٤م.

نشرت قصصاً قصيرة في الملاحق الثقافية بالصحف المحلية بين عامي ١٩٨٩م و١٩٩١م.

كتبت العديد من المسرحيات التربوية ومسرحة المناهج المدرسية وتقديمها في الفعاليات التربوية المختلفة بوزارة التربية والتعليم.

قدمت كتابات درامية للإذاعة العمانية تمثيليات إذاعية، ومسلسل إذاعي مكون من (٣٠) حلقة بعنوان: (رُحماك قدري) عام ١٩٩٠م.

شاركت في مؤتمر بناء المناهج التربوية المعاصرة في تنمية مهارات الإبداع والابتكار في الفترة من (١-٥/١٠/٢٠٠٥م) في القاهرة .

شاركت في مؤتمر التربية على حقوق الإنسان مقاربة مبنية على تطبيق تربية حقوق الإنسان في الأنظمة المدرسية بالدول العربية في الفترة من(٢٠ – ٢٣ فبراير ٢٠٠٦م) في تونس .

شاركت في تنظيم وإعداد فيلم افتتاح ندوة اللغة العربية الدولية الثانية (القراءة تعليمًا وتعلمًا) في الفترة من ١٩-٢١ ديسمبر ٢٠١١م والتي نظمتها وزارة التربية والتعليم العمانية .

حصلت على جائزة المرأة العربية المتميزة في حقل الإبداع الأدبي ٢٠١٥م.

النتاج الروائي:

ثالوث وتعويذة ، ٢٠١١م

في كهف الجنون تبدأ الحكاية ، ٢٠١٢م

الجوهرة والقبطان ، ٢٠١٤م

أرواح مشوشة ، ٢٠١٧

رواية الجوهرة والقبطان :

على مساحة مائتي صفحة تقريبا تأخذنا الروائية العمانية زوينة الكلباني في رحلة بحر مفعمة بمشاعر إنسانية جياشة حيث إنها مزجت بين الشوق والحزم والمحبة والإرادة لتحقيق الحلم وبلوغ الهدف ؛ إذ أن الرحلة البحرية هذه أُريد لها أن تكون صورة وتمثالاً لرحلة قديمة بسفينة لا محرك فيها ولا أدوات ملاحة حديثة سوى الأشرعة والمجاديف وآلة الكمال السابقة على الإسطرلاب، ومع أن هذا العمل ــ وإن كان أدبياً ــ قد يقع في كمين الكتابة التاريخية الصرفة، لكن الروائية أفلتت بنجاح وحولت سيرة السفينة الشراعية (جوهرة مسقط) ورحلتها من عمان إلى سنغافورة، من مجرد مسار وثائقي لرحلة بحر إلى رواية ونص يمزج بين السيرة الوثائقية والخيال الأدبي عبر رحلة إنسانية أخرى مسايرة للرحلة البحرية بقيادة القبطان صالح ، برع فيها خيال المؤلفة برسمها وهي رحلة سعاد زوجة القبطان ومشاعرها العاطفية مع زوجها قبطان الجوهرة والذي وقع قبل الإبحار في غرام امرأة أخرى هي منال....

وكما استطاع صالح أن يرسو بجوهرة مسقط في بر الأمان السنغافوري نجحت زوجته سعاد وبمسار مواز في أن ترسو بعائلتها في بر الأمان عبر استعادتها لسلام الأسرة ولزوجها وقلبه بعد أن كادت عواصف حبه لمنال أن تهدم كل شيء وتسرقه منها، تماما كما نجح صالح في التغلب على عواصف البحر وأعاصيره .

قسمت الرواية إلى تسعة دروس، وكل درس إلى فقرات متفاوتة العدد، وكأنها تقدم لقرائها دروساً تكشف عما تضمنته الرحلة وسر نجاح قبطانها وقائدها ، حتى أن القارئ ليجد أن عبارة البحار زكريا السعدي: (ما عرفت الخوف إلا في هذه السفينة التي أسقطت كل الأقنعة في داخلنا وعرّت ذواتنا أكثر مما ينبغي [1] ، تتسع لتشمل الرواية كلها برحلاتها الثلاث، رحلة جوهرة مسقط الأولى التاريخية الغارقة، ورحلة جوهرة مسقط الثانية الناجحة، ورحلة سعاد تجاه جوهرتها صالح ، هذه الرحلات الثلاث هي من عرت الذات لكل من يقرأ الرواية ...

(١) رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١٩١ ط دار بيت الغشام للنشر والترجمة (سلطنة عمان – مسقط) الأولى ٢٠١٤م

المبحث الأول

عتبــات النص في رواية الجوهرة والقبطان

تشكل العتبات النصية مفاتيح إجرائية فاعلة للولوج فــي فضــاء الــنص، والتأثير في متلقيه ، ومن ثم كان اهتمام العرب منذ القدم بالعتبات ، مــن خــلال حديثهم عن براعة الاستهلال، وقد أشار ابن رشيق إلى هذا بقولــه " لأن حســن الافتتاح داعية الانشراح ، ومطية النجاح .... والشعر قفل أوله مفتاح ، فينبغــي للشاعر أن يجوّد ابتداء شعره ؛ لأنه أول ما يقرع السمع ، وبه يستدل على مــا عنده من أول وهلة... ليجعله حلوا سهلا ، وفخما جزلا "[١]

وقد تحدث الجاحظ عن الاســتهلال بقولــه : " إن لابتــداء الكــلام فتنــة وعجبا " [٢] وهذ يبرز قدم معرفة الفكر العربي لمفهوم عتبة الاستهلال واهتمامه بفاعليتها في عمليتي الابداع والتلقي .

وتضاعف الاهتمام بموضوع العتبات النصية بعد تنبــه المنــاهج النقديــة الحديثة إلى فاعليتها الدلالية والجمالية والنظر إليها بوصفها جزءا لا يتجزأ مــن القيمة الإبداعية المتكاملة للنص ، فلم يعد المتن في النص هو الغاية الوحيدة التي يقصدها المتلقي ؛ لأن ما حول المتن من عتبات نصية باتت تؤثر تأثيرا بالغا في طبيعة التأويل ، وتشكل نظاما إرشاديا ومعرفيا لا يقل أهمية عــن المــتن [٣] ،

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،لأبي علي الحسن بن رشــيق القيروانــي ١٨/١ ط : دار الطلائع بالقاهرة الطبعة الأولى ٢٠٠٦م

(٢) الحيوان للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ٨٨/١ ، ط دار الجيل بيروت ١٩٩٢م

(٣) ينظر : سحر النص من أجنحة الشعر إلى أفق السرد ، قراءات فــي المدونــة الإبداعيــة لإبراهيم نصر الله ، لمحمد صابر عبيد ص ١١٩ طبعة المؤسســة العربيــة للدراســات والنشر ، بيروت ، ط :١ ، ٢٠٠٨م

ويتوجب على المتلقي الاهتمام بقراءتها ، مثلما يهتم بقراءة المتن ، وعلى هذا النحو لا تكتمل القيمة الدلالية والجمالية للنص ، إلا بوجود العتبات .

إن صياغة العتبات النصية في رواية الجوهرة والقبطان تقوم على براعة الكاتبة في اختيار هذه العتبات بعناية ، حيث حفلت هذه الرواية بالعديد من العتبات المتمثلة في : العنوان ، والغلاف ، والإهداء ، والاستهلال ، وسندخل هذه العتبات لنتعرف على كنه رواية الجوهرة والقبطان ، وهي إرشادات إبداعية تسعى إلى تعبيد الطريق أمام المتلقي ، وتسهل عليه عملية استقبال النص والولوج في خباياه وفهم مكنوناته .

أولا : **عتبة العنوان** :

هي أول ما تواجه المتلقي من العتبات ، لذلك ينبغي أن يتم اختيارها بعناية كبيرة من قبل المبدع ، وأن تكون لدى المتلقي ثقافة خاصة بكيفية دراسة هذه العتبة التي تضيء أمامه الطريق للدخول في عالم النص .

ويشير د. "محمد عبد المطلب" إلى أهمية هذه العتبة النصية بالنسبة للمتلقي بقوله : " فالعنوان يتحول إلى أداة مصاحبة تأخذ بيد القارئ حتى لا يضل في متاهات النص ، فتتقطع صلته به رغم أنه داخله..."[1] ، وهذا يعنى أن العنوان ليس "زائدة لغوية في العمل ، ولا هو عنصر من عناصره انتزع من سياقه ليحيل إلى العمل كله ، وإن كان كذلك في حالات متعددة ، ولكن "العنوان" -نظرا لاستقلاله الوظيفي- يعد إشارة دالة ومستقلة في إنتاجيتها الدلالية ، وقد يكون العنوان قصيرا أو طويلا ، فيتكون من جملة اسمية أو فعلية ، اعتمادا على أداوت الربط ، وقد يزيد فيصبح عبارة طويلة أو ينقص فيكون كلمة واحدة: تتضمن

(١) بلاغة السرد ، د. محمد عبد المطلب ، ص١٨ (ط١ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠١م).

رمزا يحيل على النص ، وهذا المستوى التركيبي للعنوان يختلف من كاتب إلى آخر.[1]

هكذا نجد العنوان عتبة مهمة لقراءة العمل الأدبي ، وذلك على الرغم من كونه قد لا يتجاوز الكلمة الواحدة أو الكلمتين – في الأغلب الأعم– وقد يشكل اسما لشخص ما من شخصيات العمل أو اسما للمكان الروائي أو لزمن الأحداث ... إلخ ، فهو على الرغم من كل ذلك إلا أنه يعد أهم عتبات العمل على نحو ما سبقت الإشارة إليه ، وبقى أن نشير إلى أهم ما شكله العنوان في رواية الجوهرة والقبطان .

فإذا ما انتقلنا إلى عنوان هذه الرواية (الجوهرة والقبطان) نجده يتكون من مبتدأ ومعطوف ويبقى السؤال الذى أصبح معتادا أين الخبر؟ ربما هو النص السردي ذاته ، ويصبح قراءة النص هكذا : الجوهرة والقبطان ما خبرهما ؟ وكأن هذا المغيب –المحكي السردي– هو ذاته الخبر ، ويمكن القراءة الثانية: "هذه حكاية الجوهرة والقبطان وتصبح (هذه): مبتدأ ، وحكاية: خبر ، الجوهرة : مضاف إليه ، والقبطان: معطوف ، ويصبح النص أيضا في حكم المغيب ، لأن المبتدأ: اسم الإشارة لا يحمل في ذاته أية دلالة غير الإشارة إلى الحكاية ذاتها. أي إن العنوان تحت أية تسميات ممكنة لا يزال مشيرا أو يحيل إلى مجهول لا يتضح إلا بالنص السردي ذاته.

وعن اسم الرواية: "الجوهرة والقبطان" ، فالجوهرة تعود لاسم السفينة الشراعية التي بناها العمانيون في قنتب على غرار سفينة غارقة قبالة السواحل الإندونيسية في القرن التاسع الميلادي ، فالعنوان هنا (الجوهرة والقبطان)

(١) ينظر: العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي ، محمد فكرى الجزار ، ص٣٥ (ط١ ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٨م).

وصياغته تمثل تشكيلا واحداً متكاملاً يأخذ بيد القارئ مباشرة ومن دون مقدمات إلى عالم البحر وأمواجه ومغامراته .

ومن الواضح أن العنوان له دلالته العاكسة للبحر إلى الكلمات المعبرة عنه(أي البحر)، بلفظ (القبطان) لتتساوق مع كلمة الجوهرة، فالقبطان هو من يخوض البحر عاشقاً ومغامراً، ممتطيا سفينته التي هي أغلى من أي جوهرة .

وعلى مساحة مائتي صفحة تقريبا تأخذنا الروائية العمانية زوينة الكلباني في رحلة بحر مفعمة بمشاعر إنسانية جياشة هي مزيج من الشوق والحزم والمحبة والإرادة ؛ لتحقيق الحلم وبلوغ الهدف ومع هذا فهي كأي إبحار كانت محفوفة بالمخاطر والتحديات المضاعفة وأشد خطورة من غيرها من الرحلات إذ أن الرحلة البحرية هذه أُريد لها أن تكون صورة وتمثالا لرحلة قديمة بسفينة لا محرك فيها ولا أدوات ملاحة حديثة سوى الأشرعة والمجاديف وآلة الكمال السابقة على الإسطرلاب، ومع أن هكذا عمل وإن كان أدبياً قد يقع في كمين الكتابة التاريخية الصرفة، لكن الروائية أفلتت بنجاح وحولت سيرة السفينة الشراعية (جوهرة مسقط) ورحلتها من عمان إلى سنغافورة، من مجرد مسار وثائقي لرحلة بحر إلى رواية ونص يمزج بين السيرة الوثائقية والخيال الأدبي عبر اجتراح رحلة إنسانية أخرى مسايرة للرحلة البحرية بقيادة القبطان صالح برع خيال المؤلفة برسمها وهي رحلة سعاد زوجة القبطان ومشاعرها العاطفية مع زوجها قبطان الجوهرة والذي وقع قبل الإبحار في غرام امرأة أخرى هي منال، وكما استطاع صالح أن يرسو بجوهرة مسقط في بر الأمان السنغافوري نجحت زوجته سعاد وبمسار مواز في أن ترسو بعائلتها في بر الأمان عبر استعادتها لسلام الأسرة ولزوجها وقلبه بعد أن كادت عواصف حبه لمنال أن تهدم كل شيء وتسرقه منها، تماما كما نجح صالح في التغلب على عواصف البحر ،

ولنلاحظ هنا ذكاء المؤلفة في استثمار عنوان الرواية واستنطاق دلالاته العاطفية وهذا يوحي بشدة اهتمام الكاتبة – زوينة الكلباني – في اختيار عنوان عملها الروائي ، ويكشف عن إدراكها لأهمية عتبة العنوان ، فهي أول ما يقرأ ؛ لذلك ينبغي أن تشكل مفتاحا إجرائيا يتسلح به المتلقي للولوج في المتن الروائي بقصد الوصول إلى كنهه ، واستنطاق طاقاته الدلالية والجمالية ؛ لذلك ينبغي أن يحتوي العنوان على بؤرة التكثيف المعرفي ، والتركيز الإيحائي ، ويتسم بالتوالد الدلالي والتنامي الجمالي ، ويعيد انتاج نفسه داخل المتن ، ويوجه المتلقي ويمده بطاقات ثقافية ، وإمكانات معرفية ؛ لتفكيك النص وضبط انسجامه . (١)

وهكذا الحال في رواية الجوهرة والقبطان فإن القارئ سيجد عنوانا يكشف عن مدى الجهد الكبير الذي بذلته المؤلفة لإنجاح عملها السردي الجميل هذا.

ثانيا : عتبة الغلاف

الغلاف هو أول ما تقع عليه العين، وآخر ما يبقى في الذاكرة ، بعد الانتهاء من قراءة العمل الأدبي ؛ لذلك يتحرى المبدع الدقة في اختيار الغلاف ، جاعلا منه عتبة الدخول إلى النص ؛ لأن الغلاف تربطه علاقة مجازية بمضمون العمل الأدبي والمتلقي إذا تمكن من فهم مكونات الغلاف ، وفك شفرته ، استطاع الدخول إلى فضاء المتن الروائي . (٢)

---

(١) ينظر : الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي ، ياسين نصير ص ٣٣ ، ط دار الشئون الثقافية بغداد ،

ودينامية النص ، محمد مفتاح ص ٧٢ ، ط المركز الثقافي العربي بيروت الطبعة الثانية .

(٢) ينظر : عتبات النص (البنية والدلالة) عبد الفتاح الحجمري ص ١٤٨ ، ط ١ ، منشورات الرابطة ، الرباط ١٩٩٦م.

وقد تكون كلمة الغلاف ليست إلا بنية تساؤلية مركبة تبرز مركبات عنوان الرواية ، ولا تكتفى بالمظهر الاستحضاري ، أو التلخيص ، وإنما تعد آنئذ بنية نصية مفتوحة تحيل إلى العمل ، ولا تصادر على المتلقي بفهمه للعمل ، وهى حينئذ تعتمد على التلميح والتكثيف في نقل عالم الحكاية ، ومما لاشك فيه أن مثل هذه الاعتبارات تثير عدة تساؤلات ومستويات مرتبطة بخصوصية هذا المصطلح المصاحب للنص والأوضاع المؤطرة لمجاله التلفظي ، وقد تأتى جمل الغلاف على لسان إحدى الشخصيات الرئيسة/الراوي وكأنه شخصية يخاطب المتلقي الفعلي للنص.[١]

وتمثل عتبة غلاف رواية (الجوهرة والقبطان) مثيرا سيميائيا يحفز المتلقي على استحضار آلام البطل (القبطان) وآماله على متن السفينة (الجوهرة) ، وهذا يبرز أهمية لوحة الغلاف ، حيث تتقدم فيها فاعلية الصورة البصرية على فاعلية اللغة ، و " الصورة والكلمة تتناوبان الأهمية والحضور الحواسي ، بحسب طبيعة كل حاسة ، وعلاقتها بنوع التلقي ، ودرجته ؛ إذ إن سيكلوجية التلقي في الخطاب السينمائي تقوم أساسًا على المشاهدة ، بمعنى أن المتلقي يستفز ــ بالدرجة الأولى ــ قواه البصرية .... ، لذلك فإن الصورة في علاقتها بالبصر تتقدم على اللغة في علاقتها بالذهن ، وهي أكثر إتقانا وإحكاما في تقديم الفكرة " [٢] وهذا يؤكد الحالة الإغرائية التي يقع فيها القارئ عند رؤيته للوحة غلاف رواية (الجوهرة والقبطان) بكل مكوناتها السيميولوجية ، مما يدفعه إلى قراءة الرواية والتفاعل مع موضوعاتها .

(٢) عتبات النص البنية والدلالة ، ص٢٢ (مرجع سابق).

(٢) سحر النص ، محمد صابر عبيد ص ١٢

ولنبدأ مع غلاف الرواية الغارق في زرقة طاغية وعميقة تتناسب وسيادة البحر على أحداث الرواية ، مع تعبير موح لحركة الأشرعة المثلثة التي تعد من ابتكارات العمانيين الأوائل ومنهم اقتبسها البرتغاليون ، هذه الحركة المتفاعلة مع اتجاه الريح وعنفوان الإبحار تضع القارئ معها في خضم البحر وأمواجه وعواصفه بما يشع منها من احتدام ومعاندة لمعاكسات الريح وتقلبات البحر وهيجاناته ، وكل هذا إنما يسجلُ للكاتبة لاختيارها لوحة الغلاف من إحدى اللوحات التي رسمتها الفنانة التشكيلية العمانية سميرة اليعقوبي لتوثيق رحلة السفينة (جوهرة مسقط) فجاء تصميم الغلاف كاشفاً بشكل مركز ومكثف عن الرواية ومستنطقا لها ، وهذا التناغم بين غلاف الرواية وعنوانها والمتن يعد من ضرورات وكماليات العمل الفني إلا أن العديد من المبدعين ومصممي الأغلفة لا يلتفتون لهذه الأهمية الفنية وتأثيرها على المتلقي ، فالعنوان هنا (الجوهرة والقبطان) ولوحة الغلاف وتصميمه تمثل تشكيلا واحداً متكاملاً يأخذ بيد القارئ مباشرة ومن دون مقدمات إلى عالم البحر وأمواجه ، بل أن أشرعة السفينة في الغلاف لتتساوق مع عبارة عشق المغامرة وكلمة الجوهرة .

ويتجلى في عتبة الغلاف وجود سيميولوجي للألوان المتعددة ، التي لها ارتباط بأحداث الرواية ، وشخوصها ، وأزمنتها ، وأمكنتها ، فاللون الأسود يبرز حجم معاناة أفراد المجموعة البطولية من طاقم السفينة ، واللون الأحمر يوحي بعظم تضحياتهم ، وسيميولوجيا الألوان " تعطينا إحساسات غامضة ، وعلى ذلك فلا يمكننا استخدامها منطقيا ، بل ننظر إلى توظيفها رمزيا " [1] لأن التحليل السيميولوجي للألوان يخضع للإحساس والشعور والحالات النفسية ، ولا يمكن إخضاعه للمنطق والعقل .

(١) جماليات الألوان في القصيدة العربية ، محمد دياب ص ٤١ ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، المجلد الخامس ، العدد الثاني .

أما عتبة الغلاف الخلفي للرواية ، فقد عكست وظيفة الغلاف الأمامي . وقد حققت مكونات عتبة غلاف الرواية فاعلية تواصلية من خلال صياغتها صياغة فنية عبر ألوانها وخطوطها ، وبالتالي تجلت فكرة الرواية فنيا عبر عتبة الغلاف .

ثالثا : عتبة الإهداء

وعتبة الإهداء لا تقل أهميتها عن بقية العتبات النصية ، فهي تشكل عنصرًا مساعدًا ، لدخول المتلقي في فضاء النص ؛ للتعرف على شخوص الرواية ووقائعها وأحداثها وزمانها ومكانها ، فوجود الإهداء يوحي بأهمية المهدى إليه وتقدير المهدي ، وقد ورد ذلك في قول الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ " تهادوا تحابوا " (١) وهذا يبرز الوظيفة الاجتماعية للإهداء حيث يحقق تواصلاً بين الأفراد والجماعات ، وتواصلاً بين النص ومتلقيه ، وبين المبدع والمتلقي ، وبذلك حمل لفظ الإهداء معنى المحبة والتقدير من قبل المؤلف إلى المهدى إليه ، وأوحى بعمق الارتباط وقوة التفاعل بينهما .

هكذا ينفتح الإهداء ليكشف عن ميثاق ضمني بين الكاتب والقارئ ، وكأنه دعوة من المبدع إلى جمهوره لمساندته وموافقته ، أو على الأقل مناقشته فيما يذهب إليه ، ومن ثم : " فالإهداء واحد من هذه العناصر التي تشير إلى مرور رسالة مقصودة من الأنا إلى الآخرين بصورة عامة ، وإلى المهدى إليهم بصورة خاصة ..." (٢)

ولأهمية وظائفه وتعلقاته النصية ، فقد حظى أيضا بالدراسة والتحليل من هذه الزاوية ، فالتمييز بين اتجاهات العمل الأدبي **Dédier** وإهداء العمل الأدبي

(١) الأدب المفرد لابن المغيرة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ص ٢٠٨ طبعة دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط ٣.

(٢) المغيب والمجسد ، مصطفى الضبع ص٣٠ (ط١ ، دار الأدباء ، الكويت ، ٢٠٠٠م).

بكتابة عبارة رقيقة إلى المهدى إليه Dédicacer يعد إجراء أوليًا وضروريًا لمساءلة هذه العتبة النصية ودلالتها. [١]

ويمثل الإهداء في رواية (الجوهرة والقبطان)عتبة من العتبات النصية التي تساعد على فهم المقاطع السردية ، إلا أنه لا يدخل ضمن الضرورات الإبداعية على النحو الذي تمثله عتبتا العنوان والغلاف ..

وأما عن الإهداء في رواية (الجوهرة والقبطان) فقد صدَّرت الكاتبة روايتها بقولها :

(إلى وطن عشق المغامرة وتأريخ يدرك أن عمان والبحر ذاكرة أبدية)[٢]

ومن الواضح أن الإهداء يتواصل بانسجامه مع الغلاف والعنوان لنتحول من الصورة العاكسة للبحر إلى الكلمات المعبرة عنه(أي البحر)، بل أن أشرعة السفينة في الغلاف لتتساوق مع عبارة عشق المغامرة وكلمة الجوهرة ، وإذا تقصينا الاتجاه الجغرافي أو الخطي المساري للإهداء نجده ينطلق من عمان إلى خارجها ، أي : إلى البحر، عمان هنا كوطن هو من يخوض البحر عاشقاً ومغامراً وهنا تكمن جمالية الإهداء وتكامله الفني والتعبيري عن واقع عمان ، عمان ليست رحلات بحر أيضا ، بل هي مقصد غزاة ومهوى تجار، بل ومعشق أطفال منحوها جنونهم حباً وعشقاً !

هذا هو تاريخ عمان لمن يعرفه، تاريخ موغل بالقدم ، وبالاتجاه نحو البحر مندفعة لمجاهيله ومسيطرة عليه ومتحكمة به في عهود سابقة حين كانت الإمبراطورية العمانية ملكة البحار الجنوبية وأكبر دولة عربية في التاريخ القريب

(١) ينظر: عتبات النص، جيرار جينيت ص١٢٣ ، طبعة دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٨٨م.

(٢) رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ٢.

أو العصور الحديثة امتدت سواحلها من تخوم الصين وإلى ساحل موزمبيق ، كما امتدت في عمق الخليج العربي حتى وصلت البصرة ودافعت عنها بوجه الغـزاة ، وفي عهود أخرى جاءتها الاندفاعات من البحر وغزت موانئها حـين اسـتهدفها الغزاة والطامعون ، وكان الغزو البرتغالي هو الأبشع والأفظع إلى أن انكسر أمام عزيمة العمانيين في عهد اليعاربة فطردوهم وطاردوهم مما مهد لقيـام الدولـة العمانية البوسعيدية الكبرى وعاصمتيها زنجبار ومسقط ، ولعمان بعـدُ جاليـات على امتداد السواحل الأسيوية والأفريقية بل أن اللغة السـواحيلية السـائدة الآن على امتداد الساحل الشرقي والجنوبي لأفريقيا هي من نتاج التلاقح بين العربيـة لسان العمانيين وبيت لغات البانتو وغيرها من اللغات الأفريقية. (١)

ولعل قصدية الروائية من هذا الإهداء يتجلى في جذب اهتمـام المتلقـي وإثارته ليتعايش مع فكرة الرواية ويتفاعل مع شخوصها ، وأحداثها ، ومن ثـم ينفتح الإهداء ليمتد فكريًا ووجدانيًا عبر النصوص السردية الموازية .

رابعا : عتبة الاستهلال

تبدأ الرواية بالنسبة للقارئ دائما بعبارتها الافتتاحية (التي يمكن بالطبع أن تكون أول عبارة قد خطها المؤلف أصلا) ثم العبارة التالية ، فالعبـارة التـي تليها... وهكذا ، ومن ثم اعتبرت البدايات من أعقد وأصعب المكونات المتعلقـة بالنص الابداعي ، حيث من خلال إحكامها وضبط صياغتها تبدو كرؤية لمحتـوى العمل بكامله ، ويجد المتبقي من الأحداث طريقة إلى ذهنية القارئ المتعامل مـع النص.(٢)

(١) الشبكة العنكبوتية (الانترنت) موقع تاريخ عمان .

(٢) ينظر: البدايات ووظيفتها في النص القصصي ، صـبري حـافظ ص١٤١ (الكرمـل ، ع ٢٢/٢١ ، ١٩٨٦م).

ومن هنا أصبح الاستهلال عتبة أساسية من عتبات النص ، ومكون بنائي يقيم مع عناصر السرد علاقة جدلية ؛ إذ يؤثر فيها ، ويتأثر بها ؛ فهو نقطة ساكنة تقع بين طرفين ؛ الواقع والنص ، ينطلق منها القاص إلى تفصيل رؤيته ، ولذا فهو يجسد حالة من السكون والاستقرار على مستوى السرد الروائي ، وعن هذا السكون يتحقق التحول نحو التفصيل وتداخل الأحداث ، والأزمنة ، والشخصيات بغية الامتداد بخيط السرد. [١] وهذا يعنى أن الاستهلال له علاقة بالواقع قبل كتابة النص ، منها يكون علاقته بعناصر بنيته المتعددة ؛ وذلك لأن ما يأتي به الروائي في نصه ليس وليد فراغ ، وإنما ينتج عن واقع تحققت الدلالة عليه برموز وإشارات تتداخل في باب المتواضع عليه من سلوكيات اجتماعية وروابط ثقافية وتفاعلات إنسانية [٢] ، أي: إن البداية/الاستهلال ليس عنصرا منفصلا عن بنية العمل الفني كله ، وإنما السدى البنائي والتاريخي المتولد من العمل الفني كله الخاضع لمنطلق العمل الكلي ، وفى الوقت نفسه فهو عنصر له خصوصيته التعبيرية باعتباره بدء الكلام ، والبداية هي المحرك الفاعل الأول لعجلة النص كله..[٣]

(١) ينظر: البداية في النص الروائي ، صدوق نور الدين ص١٨ (ط١ ، دار الحوار للنشر ، ١٩٩٤م).

(٢) ينظر: دروس في السيميائيات ، حنون مبارك ص٧ وما بعدها (ط١ ، دار توبقال للنشر ، (د.ت).

(٣) ينظر: الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي ، ياسين نصير ص٢١ (ط١ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ١٩٩٨م).

أما الرواية التي نحن بصدد الحديث عنها- ها هنا- فبينما نعاين الافتتاحية التي وضعتها الكاتبة في بداية الرواية ، وهي نص للشاعر العماني سيف الرحبي : [1]

كم من القراصنة سفحوا أمجادهم
على شواطئك...
كم من التجار والغزاة
عبروك في الحلم
كم من الأطفال منحوك جنونهم
مثل ليلة بهيجة
لعيد ميلاد غامض ؟

حين نتأمل هذا النص الشعري الذي اختارته الدكتورة زوينة كمفتتح لرواية (الجوهرة والقبطان) نجده يتجه من الخارج أي: من البحر إلى عمان، إلى الداخل !

وهنا تكمن جمالية الافتتاحية وتكاملها الفني والتعبيري عن واقع عمان، عمان ليست رحلات بحر أيضاُ، بل هي مقصد غزاة ومهوى تجار، بل ومعشق أطفال منحوها جنونهم حباً وعشقاً !

وما الاسترسال خارج نطاق القراءة النصية للرواية ؛ إلا تأكيداً على عمق المعنى المتكامل للافتتاحية ، وبذلك أوحت الإشارات المنبثقة عن النسق الفكري لعتبة الاستهلال باليقظة الفكرية عند الكاتبة من ناحية ، وعن قدرتها على الربط بين الحس الأدبي ، والحس الوطني من ناحية أخرى ..

(١) رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ٣ .

المبحث الثاني

الشخصية وتشكيلها في رواية الجوهرة والقبطان

تمثل الشخصية محور العمل الأدبي ، وذلك لأن الأفكار والآراء والمعاني تدور حولها ولأن الكاتب يستطيع من خلالها تصوير قضايا المجتمع وهمومه ، ومن ثم تعد عملية بناء الشخصية من أكثر العناصر اهتماماً – عند الأدباء والنقاد – في العمل القصصي لذا فالعمل القصصي يختل حينما يهتم كتابه بإبراز الملامح الخارجية للشخصيات " ؛ لأن الشخصية تبنى من داخل القصة ، ومن خلال أحداثها ومواقفها " . (١)

ولاشك أن براعة الكاتب تتضح من خلال خلقه لتلك الشخصيات ، ولقد أشار النقاد إلى طرق تقليدية ثلاثة لتقديم الشخصية الروائية تعتمد أولها على تقديم الشخصية من خلال وصف مجموعة من الأحداث المتعاقبة ووصف تفاعل الشخصيات مع تلك الأحداث ، أما الطريقة الثانية فتظهر عندما يقدم رسما كاملا للشخصية آو وصفًا تامًا لها ، والطريقة الثالثة تتمثل في استخدام الطريقتين معا للاستفادة من إمكانياتها.(٢)

وبما أن الشخصية تعد "العمود الفقري"(٣) لأي قصة أو رواية ؛ لأن الشخصية هي التي تصنع الأحداث ، فعلى الكاتب العناية بها ، وإبرازها للمتلقي/القارئ بصورة مقنعة ومؤثرة حتى تتمكن في الإسهام – مع بقية العناصر

---

(١) ينظر: ألوان من القصة المصرية ، محمود أمين العالم ص١٧٣ (دار النديم ، القاهرة ، ١٩٧٠م).

(٢) ينظر: يوسف إدريس والفن القصصي، د. عبد الحميد عبد العظيم القط ص١٢ (دار المعارف، ١٩٨٠م).

(٣) دراسات في نقد الرواية ، طه وادى ص٢٥ (دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٩٤م).

الفنية الأخرى – بارتقاء بالعمل ، ويمكن لنا متابعة ذلك من خلال الرواية ورصدنا لأهم جوانب عناية الكاتبة بالشخصية ، وسنتعرض في تشكيل الشخصية إلى أمور كثيرة منها:

دلالة الأسماء وتكاملها في رواية الجوهرة والقبطان.

تطور الشخصية وتفاعلها مع الحدث في رواية الجوهرة والقبطان.

تقديم الشخصية في رواية الجوهرة والقبطان.

أولا: دلالة الأسماء وتكاملها في رواية الجوهرة والقبطان :

يرى "رينيه ويلك" أن " التسمية أبسط أشكال التشخيص وكل تسمية نوع من أنواع البعث والإحياء وخلق الفرد" [1] ، وأما عن التسمية في أعمال كاتبتنا فإننا نراها تضع التسمية نصب عينيها وتحرص على الاختيار الدقيق لتسمية أبطالها.

على رأسهم القبطان(صالح) قبطان متزوج من الساردة (سعاد) منذ نيف وعشر سنوات، زواجًا تقليديًا كالمتبع في كثير من البلاد العربية والإسلامية وقد أنجب الزوجان عددا من الأطفال في مقدمتهم حمزة الذي تكرر ذكره في الرواية مرتين، كانت الأخيرة منهما في نهاية الفصل الأخير،إلا أن في شخصية صالح نقطة ضعف واحدة هي التي تشكل الهاجس المحرك لتداعيات(سعاد) وهي تروي– مستخدمة ضمير المخاطب – ما وقع من حوادث، وما جرى من متتاليات سردية بدءا من انطلاق السفينة الشراعية المعروفة بجوهرة مسقط ، وانتهاءً بوصولها إلى ميناء سنغافورة أما نقطة الضعف التي هي ملتقى خيوط الحبكة المتخيلة فهي وقوعه في حب(منال) إحدى معارف زوجته سعاد، وشقيقته (أمينة) وقد وعدها بالتقدم لها خاطبًا طالبًا الزواج منها بعد أن يعود من رحلته البحرية

(١): نظرية الأدب ، رينيه ويلك ، أوستن واريـن ، ت: محيى الدين صبحى ، ص١٢٩ (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، لبنان ، ١٩٨٧م).

المزمعة، عازمًا على ذلك بالرغم من أنه متزوج من (سعاد) التي طالما أقنعها بأنه يحبها إلى درجة العبادة ، ونقطة الضعف هذه تشوب حياته، وحياة زوجته، ورحلته البحرية بشيء من الاضطراب ، والأسى ، الذي يقلل من فرحة الإنجاز، وسعادته بالنجاة من أهوال البحر ، وغضب الكون العاصف .

وأخيرا تقرر (منال) التخلي عن هذه الحكاية ، فهي تأبى أن تقيم سعادتها على حساب الأخرى (سعاد) ولكي تقنعه بذلك، وتضع حدا لآماله العراض بالزواج منها، ادعت أنها خُطبتْ لشخص آخر، وأنهما على وشك الزفاف، ولكنه – بالطبع– لا يصدق، ويتحرى الحقيقة عندما يتصل بشقيقته (أمينة) فيخاطبها سائلا " ما أخبار منال يا أمينة؟ هل ترينها؟ أصحيحٌ خبر زواجها؟ " وتقول له ردًا : " خبر الزواج صحيح، وينبغي أن تلتفت لنفسك، وتنساها، أمامك مهمة. وعودتك إلى عُمان لن تغير من الأمر شيئا، لقد غيرت (منال) رقم هاتفها، ومسحت أرقامك، وحذفت رسائلك، وصورك، من ذاكرة الهاتف "[1]

إن اختيار الأسماء هنا له دلالة على أصلها ومن ثم نجد رابطًا بين الاسم والمسمى في رواية الجوهرة والقبطان حيث يُعد مفتاحًا لفهم الشخصية ورسم ملامحها، والمتأمل يلحظ أن اختيار الكاتبة للاسم (صالح)؛ للدلالة على الكثير من الصفات التي تميز تلك الشخصية ، فهو من الأسماء العربية القديمة كثيرة الانتشار في الوطن العربي كله لما يحمله من معاني طيبة ، وأيضا تبركا وتيمنا بنبي من أنبياء الله تعالى، واسم صالح يعني الصلاح والإصلاح والقضاء على الفساد، وهو يعني أيضا الرجل الصالح الطيب الذي يلتزم بواجباته ويؤدي ما عليه من حقوق، وهو إنسان مرهف الحس ويمتلك مشاعر جياشة له قلب طيب كما أنه يتسم بالهدوء والطيبة ، وله رؤية ثاقبة في الأمور ويتميز أيضا بالوقار

(١) رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١١٢ .

والهدوء والقدرة علي تحمل المسئولية ... ومن ثم نجد المؤلفة زوينة الكلباني لا تفتأ تشير إلى صفات أخرى فيه تضفي عليه صورة البطل المثالي، وهي صورةٌ تحمل الدارس على الاعتقاد بأنه رجل استثنائي قلما يوجد نظيره على هذه الأرض. فعندما سقط صاري السفينة الشراعية الجوهرة ، وحاول بعض مساعديه العدول عن متابعة الرحلة بحجة أن سفينة كهذه لن يكتب لها النجاح في محيط عُرف عنه التغير المفاجئ من هادئ ساكن إلى عاصف صاخب ، أصرَّ على المضي قدُمًا ، واستطاع استبدال الصاري ، فهو" ثابت كالصخر في معالجة الأمور " . (١)

وعندما واجهت السفينة الإعصار، وسط المحيط، واندفعت المياه داخلها، وأخذت تترنح، على الأمواج العالية كالجبال، توشك أن تتحطم، وتغرق، مثلما غرقت نظيرتها قبل أكثر من ألفِ عام، اتصف(صالح) هذا بإرادة صُلبة حديدية، وعزيمة لا تلين " بالعزيمة والإرادة نفسها سنقهر هذا الإعصار وغيره " (٢)، وتظل السفينة مدة تزيد على خمسة أيام وهي تخاتلُ الإعصار، وسط المحيط الهائج، والبحر المتدفق من أعالي السماء، وعلى الرغم من المشكلات الكثيرة التي تعرضوا لها بما فيها اضطرارهم للتخلص من الوزن الزائد بقذف الحجارة التي توضع في جانب من السفينة لحفظ التوازن عند الضرورة ، وكتل الرصاص، وعلى الرغم من تحطُّم المجاذيف، والصارية التي كسرت من جديد في ظرفٍ يحول دون تبديلها بأخرى، وتعرُّض البحارة لريح صرصر عاتية شديدة البرودة مع الافتقار لأي وسيلة من وسائل التدفئة، ونفاد الأطعمة (٣) ، ووقوع عارضة

(١) رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١١٨ .
(٢) رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١٣١ .
(٣) رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١٣٧ .

السفينة الأمامية على رأس أحد البحارة ، فكاد أن يتهشم رأسه، ووجهه، ومع هذا كله استطاع القبطان(صالح) أن يقود السفينة خلال الأيام الخمسة ، إلى أنْ هدأت الأحوال الجوية ، وسكن البحر، وتلاشت آثار الإعصار، وأشرقت الشمسُ على المحيط ، وعلى الجوهرة ..

والمتأمل يلحظ التركيز على البطل أضفى الكثير من الظلال على سائر شخصيات الرواية، فجعلها كالدمى التي تتحرك بأصابع المُتحكّم بمسرح العرائس. تضافُ إلى هذا مبالغة الكاتبة في إسباغ صفات البطولة المثالية على القبطان، ممَّا أحالنا إلى نوع من روايات المغامرة التي عُرفت، وانتشرت في القرن الثامن عشر والنصف الأول من التاسع عشر، وهي روايات أقربُ إلى الرومانس منها إلى الرواية ذات البناء الواقعي. فالمشاهد المتعدِّدة التي حفلت بها الرواية عن مواجهة السفينة الشراعية للإعصار، وتقلبات الأجواء، وعواصف المحيط، وغضب الطبيعة العنيف، تذكرنا برواية المغامرات التي لا يُقبل فيها إلا شيءٌ واحدٌ، وهو انتصار البطل على كل شيء، بما في ذلك العقبات التي تضعها الآلهة في طريقه. ومثل هذا النموذج الإنساني، وإن وجد فعلا في أمثلة قليلة، ونادرة جدًا، في حياتنا اليومية، إلا أنه، وفقا لقانون الأدب الروائي، يبدو شاذًا، ومفتعلا، ويحس القارئ إزاءَهُ بتناقض الرواية مع الواقع الحياتي الممكن، لا الواقع الذي ينبغي أن يكون ...

تلك هي الشخصية، وتلك هي مغامرتُها ، بيد أنّ المؤلفة- زوينة الكلباني – حرصت حرصًا كبيرًا على وضع البطل صالح في بؤرة اهتمامات المتلقي، مثلما هي في بؤرة اهتمامات الساردة، وجاء هذا على حساب الشخصيات الأخرى .

أما عن اختيار الكاتبة الاسم (سعاد) لزوجة القبطان صالح للدلالة على أنها مكمن السعادة الأبدية لما يحمله هذا الاسم من معاني طيبة وصفات راقية ،

حيث أنه يعني السعادة والبهجة ، وقد برع خيال المؤلفة برسم رحلة السعادة وهي رحلة سعاد زوجة القبطان ومشاعرها العاطفية مع زوجها وحبيبها وأبي أولادها قبطان الجوهرة والذي وقع قبل الإبحار في غرام امرأة أخرى هي منال، وكما استطاع صالح أن يرسو بجوهرة مسقط في بر الأمان السنغافوري نجحت زوجته سعاد وبمسار مواز في أن ترسو بعائلتها في بر الأمان عبر استعادتها لسلام الأسرة ولزوجها وقلبه بعد أن كادت عواصف حبه لمنال أن تهدم كل شيء وتسرقه منها، تماما كما نجح صالح في التغلب على عواصف البحر وخاصة الإعصار المسمى (ليلى) ولنلاحظ هنا ذكاء المؤلفة في استثمار هذا الاسم للإعصار المعروف واستنطاق لدلالاته العاطفية (حكاية مجنون ليلى) ، ولكنها استعادة ناقصة ستبقى ظلال الشك مخيمة عليها ويشوبها أثر الألم النفسي ووجع الجراح الروحية تماماً مثلما كانت الرحلة البحرية ناقصة ويشعر القارئ عند نهايتها وسماع القصة الواقعية بغصة ألم وأسف لأن (جوهرة مسقط) بقيت هناك في سنغافورة ولم تعد إلى مسقط شأنها شأن الجوهرة الأولى التي غرقت واستقرت في أعماق البحر، هذه التقابلات بين الرحلتين: رحلة القبطان صالح ، ورحلة سعاد لاستعادة جوهرتها الخاصة(صالح)، تكشفان عن روح المغامرة بحكمة وشجاعة ومثابرة استطاعت الكاتبة التعبير عنها – روائياً – ببراعة ونجاح .

وكذلك نجد اختيار الكاتبة الاسم (حمزة) لابن القبطان صالح لما يحمله هذا الاسم من معان القوة والشجاعة والإقدام والشدة والحزم ، حيث إن الكثير من الآباء يختارون اسم حمزة لذكورهم ؛ لأنه من الأسماء التي تحمل معاني القوة والحزم والشجاعة ويتمني أن ينال ابنه حظه من اسمه ويصبح إنساناً شجاعاً يهابه الجميع لكن بحب ؛ لأنه إنسان رقيق المشاعر ، ورغم قوته لين القلب

يساعد من يطلب مساعدته فهو محب لفعل الخير ومتعاون ويمد يده لمن يحتاجها ولا يتوانى في تقديم العون والمساعدة ، يدافع عن الحق ولا يخشي فيه لومة لائم ويكره الظلم والغش والخداع ، له خير في أبويه فهو طائع بار بهم يحبهم ويخاف عليهم ....

حمزة الذي تكرر ذكره في الرواية مرتين، كانت الأخيرة منهما في نهاية الفصل الأخير " وكانت المفاجأة التي لم يتوقَّعها بطلُ الرواية، ولا القارئ، وهي وجود حمزة – ابنه– في صفوف المستقبلين المهنئين بسلامة الوصول، إلى جانب سفير سلطنة عمان، وغيره من المستقبلين الدبلوماسيّين والشعبيّين " [١]

وكذلك نجد من شخصيات الرواية : (منال) إحدى معارف زوجة القبطان صالح ، وشقيقته (أمينة) وقد وعدها بالتقدم لها خاطبًا طالبًا الزواج منها بعد أن يعود من رحلته البحرية المزمعة، عازمًا على ذلك بالرغم من أنه متزوج من (سعاد) التي طالما أقنعها بأنه يحبها إلى درجة العبادة ، إلا أن منال هي التي تراجعت، وفصمت عرى تلك العلاقة، والحبّ لأنها تأبى أن تقيم سعادتها على حساب الأخرى (سعاد). [٢] ، وهذا التصرف يبدو لبعض القراء غير مقنع، كون الشخصية التي قامت بذلك لا نعرف عنها ما يؤهلها للقيام به. فقد حدثتنا عنها الساردة (سعاد) وحدثتنا عنها أمينة في اتصال هاتفي بينها وبين صالح، في حين أن منال ، بالنسبة للقارئ ، شخصية غامضة، منغلقة، لا يعرفُ عنها إلا القليل الذي لا يشفي غليل الدارس، ولا يطفئُ ظمأ باحث . علاوة على أنَّ الزمن الذي يفصل بين بدء الحديث عن علاقتها بصالح، وبدْء الحديث عن قطع هذه العلاقة ،

(١) رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١٩٧.

(٢) رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ٦٧ .

لا يسمح بتوقع مثل هذه التطورات ، فهو زمنٌ قصير ، ومحدود ، لا يتجاوز الأسابيع ..... [1]

والناظر في اختيار الكاتبة لهذا الاسم (منال) يجد رابطًا بين الاسم والمسمى في رواية الجوهرة والقبطان ،لأن هذا الاسم من الفعل نَوَلَ والنَّوْل : العطية ، والمنال : العطية ، والنصيب ، ويعتبر من الأسماء الرقيقة ويحمل الكثير من الدلالات الجميلة والرائعة ، ويراد به هنا أمنية ومراد القبطان صالح ، وقد بذل الكثير من السعي والمجهود لتحقيق أمنيته ومراده ، وفيه إشارة إلى أن هذا الأمر صعب المنال ، أو يصعب تحقيقه ..

هكذا نجد زوينة الكلباني على وعى وإدراك في اختيار أسماء شخصيات الرواية ، فضلا عن ارتباطها بشكل واضح ، الأمر الذى يجعل القارئ يستشعر بثمة ارتباط بين النصوص الروائية ، وكذلك ثمة انفتاح بينها وأوضح مثال على ذلك ، اختيارها للاسم: (أمينة) لتكون أختا للقبطان (صالح) حيث يحمل معاني السيدة الموثوق بها، والمخلصة والوفية، والمرأة التي تؤتمن أو التي تعامل الناس بأمانة وصدق وتحافظ على وعودها، وقد أشارت الكاتبة في الرواية إلى أمينة – أخت صالح – وأنها من الشخصيات المسؤولة التي يعتمد عليها حتى في المواقف الصعبة ، وتتميز بِعقلها الرزين وهدوئها ولين طباعها بالإضافة إلى رزانتها وعقلها الراجح ، الأمر الذي جعل القبطان صالح يحبها ويأخذ رأيها في أمور حياته الخاصة .. [2] ، نلحظ ذلك حينما علم صالح أن حبيبته منال خُطبتْ لشخص آخر، وأنهما على وشك الزفاف، ولكنه – بالطبع- لا يصدق، ويتحرى الحقيقة فيتصل بشقيقته (أمينة) فيخاطبها سائلا " ما أخبار منال يا أمينة؟ هل

(١) رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ٦٩ .

(٢) ينظر رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ٧١.

ترينها؟ أصحيحٌ خبر زواجها؟ " وتقول له ردًا " خبر الزواج صحيح، وينبغي أن تلتفت لنفسك، وتنساها، أمامك مهمة. وعودتك إلى عُمان لن تغير من الأمر شيئا، لقد غيرت (منال) رقم هاتفها، ومسحت أرقامك، وحذفت رسائلك، وصورك، من ذاكرة الهاتف ... وأنها رأتها كما لم ترها من قبل ، جميلة وسعيدة مؤمنة بصواب القرار الذي اتخذته ، وأنها تقضي جل وقتها في التجهيز لعرسها القريب ولقد أعادت إليَّ هداياك جميعها ، سلمتني إياها وهي تقول :

توقفت أمينة لحظة عن الحديث ثم سألت صالح :

صالح أتريد أن تعرف ما قالته منال ؟

ابتلع صالح صدمته ،وأطرق يفكر، ثم سأل أمينة بشفتين مرتجفتين :

أمينة تكلمي ،ماذا قالت ؟

قالت : صدقيني يا أمينة ما توقعت أن أرتبط يوما بصالح.. إنه ليس لي ، صالح له زوجة وأولاد إنهم أحوج مني إليه ؛ ومن أجلهم استعجلت نصيبي .

شعرت أمينة باستياء صالح فحاولت أن تخفف عنه قائلة :

الحب يا صالح يحتاج إلى تضحية ، والعاشق أعمى لا يميز بين الربح والخسارة ، وهذا الحب لن يجلب لك سوى الهم والكآبة ." [1]

أمينة تعمدت فعلا أن تكون صريحة مع القبطان ، أخبرته بتفاصيل التفاصيل لتنتشل أخاها من سياط الذكريات التي تتداعى في قلبه المفجوع ..

ونجد من شخصيات الرواية (توم) الخبير الأوروبي (توماس) بالإنجليزية (Thomas : هو اسم علم شخصي مذكر من أصل آرامي ومعناه التوأم، [2]

(١) ينظر رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١١٢ ، ١١٣.

(٢) ينظر : معنى اسم توماس في قاموس معاني الأسماء صفحة ١ نسخة محفوظة 09 مايو ٢٠١٤م على موقع واي باك مشين .

و يعتبر من الأسماء المقدسة عند المسيحيين نسبةً للقديس توما أحد تلامذة المسيح الاثني عشر، ولهذا الاسم أشكال مختلفة مثل توم و تومي وتام وثوم وتوما، وله أشكال أخرى للإناث مثل: تامسين وتوماسينا وتوميس وتامي. [١] وهو ــ هنا ــ أحد أفراد طاقم السفينة (الجوهرة) واختارته الكاتبة ليمثل دور المساعد الأجنبي الذي يظهر خلاف ما يبطن فهو في نظر صالح أحد " الأحجية المعقدة" [٢] ينظر إلى صالح نظرة الغيرة وربما الحسد ، " ابتسامته كانت مريبة ومحيرة ، تحمل كثيرًا من المعاني ، إنها ليست ابتسامة تقدير .. فأصابع هذا الرجل تفضح قلقه ، وارتباكته أكثر من ملامح وجهه .. " [٣]

والكاتبة نجحت في رسم شخصية الخبير الأوربي في شمل (توم) الذي قد يبدو في نظر الكثير حاد الطباع ، فظا غليظا ، وقد يختلف البعض حول عدد من خصاله ، لكن الصفات التي لا يختلف عليها اثنان: نبله وتمسكه بالعدالة ، ورفضه الظلم بكل أشكاله ، وإن كان في الظاهر .

وكذلك نجد شخصيات الرواية (على متن السفينة) جميعها رجالاً ؛ لأنها – الرواية– أقرب إلى العمل الكورالي الذى يحكى ملحمة الحرب ، في أيام معدودة ومن ثم لسنا في حاجة إلى شخصية نسائية وكلها محسن – زكريا السعدي – بدر بن حمد البوسعيدي – لوكا – إريك – توم – إياز الزدجالي – سعيد الطارشي – جيف – ساجد – أحمد العدوي – يحيى الفراجي – روبرت – خميس الحمداني

---

(١) ينظر : معنى اسم توماس في قاموس معاني الأسماء صفحة ١ نسخة محفوظة 09 مايو ٢٠١٤م على موقع واي باك مشين.

(٢) ينظر رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١١٥

(٣) ينظر رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١١٤

– أحمد البلوشي – آدم البلوشي – حسين الرئيسي – بوش بداس – فهد الشعيبي – إلساندرو – ماثيو ... [١]

فلا يوجد ذكر لأية شخصية نسائية ، وذلك لأن المسرح السردي وموقع الأحداث كلها ، إنما هي من أعلى الجوهرة ، بغض النظر عن دلالة كل اسم على حدة ، وإنما هي أسماء تحمل دلالات معينة ، ورغم كل هذه الدلالات لا نستطيع أن نقف عند دلالة كل اسم على حدة ، غير القول إنها بانوراما لأحداث الرحلة إن جاز التعبير.

ثانيا : تطور الشخصية وتفاعلها مع الحدث في رواية الجوهرة والقبطان: [٢]

وتعد هذه ضمن الأمور التي اعتمدت عليها الكاتبة زوينة الكلباني؛ لجذب القارئ إليها ، وقد ظلت محاولات الكاتبة لتقديم شخصياتها للقارئ بطريقة مقنعة ومؤثرة ، والذي ساعدها على ذلك أنها كانت تتناولها "وهى تتحرك داخل عالمها القصصي... فالشخصية ينبغي أن تنمو بنمو الحدث نفسه"[٣] والذى لاشك فيه أن تفاعل الشخصية ونموها مع الحدث لحظة بلحظة يعد أمرًا جاذبًا لقارئ أي رواية ، لذا فعنصر الحدث لابد له من الحضور الكبير في الروايات ، إذ أن الأديب يسعى لإيصال أفكاره للقارئ من خلال القصة المقدمة في الرواية ، التي لابد وأن تكون

(١) ينظر رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ٣٨ .

(٢) الحدث: عنصر هام من عناصر القصة ، وهو الحكاية التي تقوم بها الشخصيات ، ويمثل الفعل القصصي والشخصيات هي الفاعلة الذى يقوم بها ، والحدث كذلك مجموعة من المواقف والمشاهد التي تكون القصة ، وأيضا هو مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة ومنظمة على تشكيلة خاصة. انظر: الأدب وفنونه لعز الدين إسماعيل ، ص١٥١(ط١ ، دار النشر المصرية ، ١٩٥٥م).

(٣) دراسات في نقد الرواية ، طه وادى ص٢٦ (دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٩٤م).

مستمدة من حدث ذو مجموعة أحداث ، مهما كان حجم هذا الحدث أو الاختلاف في طريقة تقديمه.

ويتجلى هذا الأمر من خلال (صالح) الذى حرصت الكاتبة حرصًا كبيرًا على وضعه في بؤرة اهتمامات المتلقي ، والذى ينمو مع الأحداث درجة بدرجة حتى تنتهى الرحلة ويعود إلى وطنه مرة أخرى ، فالحكاية- في الواقع – تقوم على فكرة غير جديدة، ولا مبتكرة، وهي تمجيد البطل صالح، والإشادة بجَلده، وصبره، ومقارعته الأهوال بروح قيادية عالية المستوى، لا يطالها كلل، ولا يمسها ملل، ولا تزعزعها الكوارث المستجدة، ولا المصائب الطارئة؛ من رياح وأعاصير وزوابع، وإن كانت شديدة. إلا أن في شخصيته نقطة ضعف واحدة هي التي تشكل الهاجس المحرك لتداعيات(سعاد) وهي تروي- مستخدمة ضمير المخاطب – ما وقع من حوادث، وما جرى من متتاليات سردية بدءا من انطلاق السفينة الشراعية المعروفة بجوهرة مسقط، وانتهاءً بوصولها إلى ميناء سنغافورة ، ومن ثم نجد ، المؤلفة زوينة الكلباني لا تفتأ تشير إلى صفات أخرى فيه تتنامى مع الحدث وتضفي عليه صورة البطل المثالي، وهي صورةٌ تحمل الدارس على الاعتقاد بأنه رجل استثنائي قلما يوجد نظيره على هذه الأرض. فعندما سقط صاري السفينة الشراعية الجوهرة، وحاول بعض مساعديه العدول عن متابعة الرحلة بحجة أن سفينة كهذه لن يكتب لها النجاح في محيط عُرف عنه التغير المفاجئ من هادئ ساكن إلى عاصف صاخب، أصرَّ على المضي قدُمًا، واستطاع استبدال الصاري، فهو" ثابت كالصخر في معالجة الأمور " [1]

كما نجد الروائية في تقصيها لمعلومات أكثر عن موضوع روايتها ، تتقصى الأخبار والمراجع وما كتب عن الرحلة الأولى وكيف بدأ الإعداد للرحلة وعن

(١) ينظر رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١١٨.

صناعة السفينة وموطن أخشابها ومقاساتها بما يذكر القارئ برواية(موبي ديك) وكيف أبدع مؤلفها في جمع كم هائل من التفاصيل وظفها لخدمة الرواية وأحداثها وهكذا الحال في الجوهرة والقبطان فإن القارئ سيجد إحاطة المؤلفة بكل تفاصيل السفينة والرحلة والموانئ التي رست فيها والشخصيات التي تتنامى مع الحدث بشكل يكشف عن مدى الجهد الكبير الذي بذلته المؤلفة لإنجاح عملها السردي هذا، بينما نجد الراوي الرئيس العالم بكل شيء تقريبا هي سعاد زوجة القبطان، فهي تعرف حتى خلجات نفوس الشخصيات الأخرى ويمكن أن نصف هذا العلم الكلي لإحدى الشخصيات من دون تواجدها في مكان الحدث بأنه نوع من التَّقَمُّص بين المؤلفة وشخصية سعاد ، وهذا التَّقَمُّص وحده من يقدم مبرراً فنياً لإحاطة سعاد بكل شيء ، ومن هنا حرصت الكاتبة على قراءة التفاعلات النفسية سلبا وإيجاباً لشخصياتها، فهناك المحبة والتعاون والاستبسال ، وهناك الغيرة وربما الحسد كما هو حال توم الخبير الأوربي ونظرته إلى صالح وهناك الشجاعة مع الحزم والسماحة كما هو حال القبطان صالح ومن دون هذه الصفات فلا نجاح له، كما نجحت في سبر أغوار صالح وهو يشتاق لحبيبته منال وخلجات نفس سعاد وهي بين نار الغيرة والشوق لصالح وخشيتها على أولادها وأسرتها ...

مما سبق يتضح لنا أن نمو الشخصية ، وتفاعل دورها مع الحدث يعد أمرًا خطيرًا في الرواية ، حيث إن ثبات الشخصية يدفع إلى مستقر غير آمن ؛ لأنها بذلك تقف عاجزة عن التكيف مع متطلبات الحياة غير المستقرة ، مما يجعلها تتسم بالتخلف والجمود بل الجنون ، وتقف عند حد معين من التفكير لا تستطيع تجاوزه وتضيع تحت الأقدام ، لذا كان على الروائي أن يجعل الشخصية ترتبط بالحدث وتعيش معه بكل عواطفها وذلك حتى تكون تصرفاتها متوائمة مع هذا الحدث ، ومن هنا ستظل الشخصيات محور العمل الأدبي ، وذلك؛ لأن الأديب

لا يسوق "أفكاره وقضاياه منفصلة عن محيطها الحيوي ، بل ممثلة في الأشخاص الذين يعيشون في مجتمع ما ، وإلا كانت مجرد دعاية ، وفقدت بذلك أثرها الاجتماعي وقيمتها الفنية معا فلا مناص من أن تحيا الأفكار في الأشخاص ، وتحيا بها الأشخاص في مظهر من مظاهر التفاعل حسب ما يهدف إليه الكاتب في نظرته إلى هذه القيم". (١)

هكذا يتضح لنا أن تطوير الشخصيات والحوادث في القصة يعد ذا أهمية كبرى في نجاحها ، فهي: الدافع الملح الذى يدفع القارئ للاهتمام في كشف النهاية التي تبلغها الحوادث في سيرها الحثيث ، بل يتعرف إلى المصير الذى ستؤول إليه الشخصيات في تفاعلها المستمر مع الحوادث ، وذلك باعتبارها ذات أهمية كبرى في سير القصة وحركة الشخصيات حتى تصل إلى النهاية .

ثالثا: **تقديم الشخصية** :

يرى بعض النقاد أنه من الواجب على الكاتب حين يقدم ويرسم لصورة شخصياته ألا يقدمها دفعة واحدة ، لأن ذلك يخالف الواقع ، فالإنسان لا يولد في الحياة مكتمل النضج ، وإنما يمر بمراحل كثيرة ، يتغير فيها هيكله ، وتتطور وجهة نظره للأمور؛ لذا فالأفضل للروائي أن يتدرج في تقديم شخصياته ، ولا يأتي بالشخصيات ثابتة لا حيوية فيها ، لأن ذلك يمنع أهم عناصر جذب القارئ وهو عنصر التشويق ، وقد رأينا هذا الجانب في رواية الجوهرة والقبطان فمثلا نجدها تمهد للمصير الذى سيصل إليه صالح في علاقته بمنال ، وذلك يتضح في الحوار الذى دار بين صالح وأخته أمينة في مكالمتهما الهاتفية ، فيخاطبها سائلا " ما أخبار منال يا أمينة؟ هل ترينها؟ أصحيحٌ خبر زواجها؟ " وتقول له

(١) النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ص٥٢٦ (طبعة بيروت ، ١٩٧٣ ، طبعة نهضة مصر ، د.ت).

ردًا " خبر الزواج صحيح، وينبغي أن تلتفت لنفسك، وتنساها، أمامك مهمة. وعودتك إلى عُمان لن تغير من الأمر شيئا، لقد غيرت (منال) رقم هاتفها، ومسحت أرقامك، وحذفت رسائلك، وصورك، من ذاكرة الهاتف ... وأنها رأتها كما لم ترها من قبل ، جميلة وسعيدة مؤمنة بصواب القرار الذي اتخذته ، وأنها تقضي جل وقتها في التجهيز لعرسها القريب ، ولقد أعادت إليَّ هداياك جميعها ، سلمتني إياها وهي تقول :

توقفت أمينة لحظة عن الحديث ثم سألت صالح :

صالح أتريد أن تعرف ما قالته منال ؟

ابتلع صالح صدمته ،وأطرق يفكر، ثم سأل أمينة بشفتين مرتجفتين :

أمينة تكلمي ،ماذا قالت ؟

قالت : صدقيني يا أمينة ما توقعت أن أرتبط يوما بصالح.. إنه ليس لي ، صالح له زوجة وأولاد إنهم أحوج مني إليه ؛ ومن أجلهم استعجلت نصيبي .

شعرت أمينة باستياء صالح فحاولت أن تخفف عنه قائلة :

الحب يا صالح يحتاج إلى تضحية ، والعاشق أعمى لا يميز بين الربح والخسارة ، وهذا الحب لن يجلب لك سوى الهم والكآبة ." [1]

فتقول الكاتبة عن أمينة :

أمينة تعمدت فعلا أن تكون صريحة مع القبطان ، أخبرته بتفاصيل التفاصيل؛ لتنتشل أخاها من سياط الذكريات التي تتداعى في قلبه المفجوع .. [2]

ومن ميزات الكاتبة عرضها لكافة التفاصيل التي تخص الجانب الذى تتحدث عنه، فزوينة الكلباني لا تترك ثغرة دون أن تملأها ، وذلك حتى تعطى القارئ

(١) ينظر رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١١٢ ، ١١٣.

(٢) السابق نفسه .

لوحة متكاملة عنها ، ويتبين هذا الأمر في صفحة (٣٨) من الرواية ، ففيها نتعرف إلى سعى الكاتبة بسد كل النوافذ التي يمكن أن تقلل من اكتمال المشهد ، وذلك نحو عرضها للكم الهائل من أسماء الطاقم وغيرهم " قسمت البحارة إلى مجموعتين : مجموعة اليمين ، وتتكون من : إياز الزدجالي – سعيد الطارشي – جيف – ساجد – أحمد العدوي – يحيى الفراجي – روبرت – إريك ، مجموعة اليسار ، وتتكون من : خميس الحمداني – أحمد البلوشي – آدم البلوشي – حسين الرئيسي – بوش بداس – فهد الشعيبي – إلساندرو – ماثيو ... [١]

وكذلك توفرت الحبكة في نهاية الرواية ، وفشل قصة الحب بين صالح ومنال، حيث إن الأحداث كلها– من بداية علاقتهما ببعض– تدلنا على استحالة استمرار علاقة الحب بينهما لأمور عديدة .

هكذا تبين لنا أن الحبكة لها دور مؤثر في الرواية ، حيث إن وجودها يؤدي كما يرى النقاد إلى "تشويق المتلقي" ، وإثارة وجدانه ، وتحريك خياله ، فهو يتتبع الأحداث لا ليعرف ماذا بعد؟ ، وإنما ليدرك معنى لماذا؟ وكيف؟ وبالتالي يستقطب الروائي اهتمام قارئه فكرًا وشعورًا وخيالا".[٢]

(١) ينظر رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ٣٨ .

(٢) بناء الرواية ، عبد الفتاح عثمان ص٤٩ (مكتبة الشباب ، القاهرة ، د.ت).

المبحث الثالث

بنية الزمان ودوره في تشكيل رواية الجوهرة والقبطان

لقد اهتم النقد الحديث بدراسة الزمن باعتباره هيكلا تقوم عليه بنية الشكل الروائي ، انطلاقا من دراسة مختلف التعارضات بين زمن الرواية وزمن الخطاب وما ينتج عن ذلك من مفارقات سردية .. ومما لا شك فيه أن الزمن من العناصر الأساسية المكونة للنص الأدبي عامة ، والنص السردي خاصة ؛ لأن مختلف النصوص الروائية تقوم على أساس التلاعب بالزمن ، الذي يعني في الاصطلاح السردي " مجموعة العلاقات السردية : السرعة ، التتابع ، البعد بين المواقف والمواقع المحكية، وعملية الحكي الخاصة بهما ، وبين الزمان والخطاب والمسرود والعملية المسرودة ، ويعد الزمن إحدى الإشكاليات التي وقف الباحثون والنقاد والروائيون بحثا عن البنية السردية الروائية " [1] ، وهذا ما أشار إليه "فورستر" حينما قال: بأن "الامتثال للزمن في الرواية أمر لابد منه ، ولا يمكن أن تكتب الرواية بدونه"[2] وكذلك "شعيب حليفي" يبرز لنا أهمية الزمن ودوره في الرواية ، حينما يقول: بأن الزمن هو "عنصر الرواية الأساسي".[3]

وتجدر الإشارة إلى دور الزمن وإحداث ما يسمى برواية وجهة النظر ، التي تتحقق عبر الانتقال الزمنى للسارد ، أو لسائر شخصيات الرواية ، ومن هنا نجد

---

(١) البنية السردية ، عبد المنعم زكريا (دراسة ثلاثية خيري شلبي)ص ١٠٣ ط ١ ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ٢٠٠٩م .

(٢) أركان القصة ، إ.م. فورستر ، ترجمة: كمال عياد ، ص٤٩ (ط دار الكرنك القاهرة ، ١٩٦٠).

(٣) مكونات السرد الفانتاتسيتكي ، شعيب حليفي ص٦١ (مجلة فصول ، المجلد الثاني عشر ، العدد الأول ، ١٩٩٣م).

استخدام الروائيين لعنصر الوصف ، الذى يصف الحدث الواحد من وجهات نظر متعددة ، أو من مواقع زمنية مختلفة فنتاج السرد –حينئذ– لا يعد ترادفا لوجهات النظر ، ولكنه نوع من العرض المزدوج[١] هو الذى يوضح للقارئ أن كل حادث أو حقيقة يمكن أن ينظر إليها الناس من زوايا مختلفة فيرونها مختلفة الصور والهيئات ، وهي في الأصل شيء واحد...

ونجد فكرة (الزمن الاطار)[٢] أو ما يمكننا تسميته (بالزمن الخارجي) ويتضمن الإشارات الخارجية التي أطاحت بتجربة النص الروائي ، أما الزمن الداخلي فيحتوى على جملة الأحداث التي يشملها العمل الأدبي من حيث: التسريع والاسترجاع والتلخيص أو عرض الأحداث بأكثر من وجهة نظر.

ثمة تفرقة بين الزمن الروائي من حيث كونه زمنا خارجيا يمسك التجربة الروائية كلها ، وبين زمن القصة الداخلي الذى يحكى أحداثها ، فلربما رواية تدور في ليلة واحدة أو بضع ساعات من حيث زمن الخطاب ، ولكنها تتضمن حقبة زمنية بطولها.

وثمة تفرقة أخرى بين زمن القصة وزمن النشر وزمن الكتابة ، ولعل أبسط التعريفات لهذه الأزمنة قولنا: إن زمن النشر هو تاريخ الطبعة الأولى للرواية ، بينما زمن الكتابة ذلك التاريخ المسجل عند آخر كلمات الرواية ، ومعه اسم المؤلف نفسه أو كلمة انتهت... إلخ. هكذا نجد أنفسنا عند معالجة قضية زمن رواية الجوهرة والقبطان أمام مجموعة إشكاليات مختلفة أولها: زمن الكتابة ،

---

(١) ينظر: مقال: وجهة النظر ، بوريس أوسبنكي (فصول مجلد ١٥ ، عدد ٤ ، ١٩٩٧).

(٢) الزمن الإطار: عبارة عن اتخاذ الروائي مكانا مرجعا أو زمانا مرجعا أو إطارا يبرز من خلاله الحدث كلية ، والمكان والزمان الإطار يختلفان عن الأزمنة والأمكنة الداخلية للتجربة الروائية.

ثانيها: زمن النشر ، ثالثها: زمن القصة ، رابعها: زمن الخطاب ، وأخيرا وهو الأهم من كل ذلك الحيل الزمنية التي اتخذتها المؤلفة للتوفيق بين زمن القصة وزمن الخطاب ، بمعنى إذا كانت الرواية جميعها حكيت في ليلة أو أسبوع أو بضعة أشهر على الأكثر ، ثم نرى كيف عادت بنا الروائية إلى أزمنة أخرى بعيدة ربما تزيد على العشرين عاما؟ ، وأيضا كيف استطاعت الروائية أن تشير إلى جملة أحداث ربما لم تقع في زمن كتابة الرواية بعد؟

بالطبع لا يتسنى للروائية كل ذلك إلا باستخدامها لتقنيات وحيل زمنية كثيرة على نحو الاستباق أو الاستشراف ، التنبؤ والرجوع إلى الوراء ، التلخيص ، الحذف ، تسريع السرد...إلخ.

والزمن الخارجي في رواية (الجوهرة والقبطان) خمسة أيام ؛ لأن الكاتبة لم تؤمن يوما بما نسميه بثنائية الشكل والمضمون أو المبنى والمتن ، فالكل قالب واحد يعمل على إيصال التجربة الروائية ، لذا نراها تقوم بخلق عمل روائي يعمل في المقام الأول على نقل الرؤية أو التجربة : "وتظل السفينة مدة تزيد على خمسة أيام وهي تخاتلُ الإعصار، وسط المحيط الهائج، والبحر المتدفق من أعالي السماء، وعلى الرغم من المشكلات الكثيرة التي تعرضوا لها بما فيها اضطرارهم للتخلص من الوزن الزائد بقذف الحجارة التي توضع في جانب من السفينة لحفظ التوازن عند الضرورة ، وكتل الرصاص، وعلى الرغم من تحطُّم المجاذيف، والصارية التي كسرت من جديد في ظرفٍ يحول دون تبديلها بأخرى، وتعرُّض البحارة لريح صرصر عاتية شديدة البرودة مع الافتقار لأي وسيلة من وسائل التدفئة، ونفاد الأطعمة ، ووقوع عارضة السفينة الأمامية على رأس أحد البحارة (بو شبداس) فكاد أن يتهشم رأسه، ووجهه، ومع هذا كله استطاع القبطان(صالح) أن يقود السفينة خلال الأيام الخمسة، إلى أنْ هدأت الأحوال

الجوية، وسكن البحر، وتلاشت آثار الإعصار، وأشرقت الشمسُ على المحيط، وعلى الجوهرة، من جديد ". (١)

هكذا لم تهتم الروائية بتقسيم هذه المشاهد أو العناوين إلى فصول ، وإنما هي: أيام ، وكأن الروائية تريد القول بأن أحداث الرواية قد دارت في خمسة أيام لا غير .

وهذا لا ينفي عن الكاتبة قدرتها على كتابة رواية بمنتهى الواقعية ، لو أرادت، فهي تتحكم بشروط السرد السلس ، وتراعي العلاقات بين الحوادث ، وما يحيط بها من عوامل الزمان ، وتتقن وصفها لمشاهد تضفي على السرد غير قليل من التشويق، والإثارة ، من ذلك مشهد انطلاق الجوهرة عبر المحيط ، ومشهد الإعصار، وما تخلله من اضطراب الموج المتلاطم ، وترنح السفينة الشراعية ، والشعور بالرعب الذي طغي على بعض البحارة ، مما يُذكِّرُ بمشاهد سينمائية تتخلل أفلام المغامرات البحريّة ، وهي أفلام متكرِّرَة ، يكاد أكثرها لا يخفى على أحد ، ولكن هذه المشاهد – في الواقع– تتكدَّس في صفحات الرواية كثيرًا ، مما يحول دون الغوص في دخيلاء الشخوص، والتعرف على ما يمور في أعماق النفوس، وهذا أتاحَ للمؤلفة توجيه بعض الشخصيات لتقوم بأفعال لا تتوَقَّع ، مثل قيام منال بالتخلي عن صالح حرصًا على علاقته بزوجته سعاد ، فهذا التصرف يبدو لبعض القراء غير مقنع ، كون الشخصية التي قامت بذلك لا نعرف عنها ما يؤهلها للقيام به ، فقد حدثتنا عنها الساردة (سعاد) وحدثتنا عنها أمينة في اتصال هاتفي بينها وبين صالح ، في حين أن (منال) بالنسبة للقارئ، شخصية غامضة منغلقة ، لا يعرفُ عنها إلا القليل الذي لا يشفي غليل الدارس ، ولا يطفئُ ظمأ باحث، علاوة على أنَّ الزمن الذي يفصل بين بدء الحديث عن علاقتها بصالح ،

(١) ينظر رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١٣٧ .

وبدْء الحديث عن قطع هذه العلاقة ، لا يسمح بتوقع مثل هذه التطورات ، فهو زمنٌ قصير، ومحدود ، لا يتجاوز الأسابيع .. هكذا خططت المؤلفة لمشروع روايتها ، فعبر الزمن الخارجي فقط يمكننا فهم التجربة الروائية كلية ، هذا فضلا عن وجود الزمن الداخلي وزمن الكتابة وزمن النشر ، فزمن نشر الرواية التي نحن بصدد الحديث عنها- ها هنا- فهي من إصدارات بيت الغشام للترجمة والنشر في مسقط.(٢٠١٤م) وتقوم حبكتها السردية على حكاية واقعية حقيقية ، ففي العام ١٩٩٨م عثر صياد مشغول بالبحث عن قوت يومه على حطام سفينة شراعية عمانية كانت قد غرقت في مياه المحيط على كثب من الشواطئ الأندونيسية في القرن التاسع الميلادي، وعلى متنها عدد من البحارة العمانيين وفي جوفها نحو ٦٠ ألف قطعة من الخزف الصيني الثمين الذي يعد كنزا من الكنوز المعروفة باسم كنوز التانغ. وقد تكفلت سلطنة عمان بإعادة بناء السفينة مرة أخرى مستعينة بما لديها من خبراء، وصناع محليين، وأجانب.

أما الزمن الحقيقي/الداخلي للتجربة الروائية ، فيمكننا التعرف عليه من جملة الأحداث المشار إليها من خلال النسيج السردي ، ففي أوائل الرواية تقريبا من بداية العمل نجد قولها " أتعبتك الرحلات المتتابعة ؟ وأنهكتك المسافات الطويلة ؟ عشرات العشرات من الأيام وأنت في عرض البحر على قوارب سباق شراعية صغيرة جدا ، لا يتسع الواحد منها إلا لأربعة أشخاص ، ساعات النوم محدودة لا تتجاوز الساعتين في اليوم ، وبالتناوب فيما بينكم ، عمل دؤوب ومتواصل ..... ".[1] فمنذ البداية تشير الرواية إلى هذه المدة الزمنية الداخلية ، كما تشير الروائية إلى المتغيرات في عشرات العشرات من الأيام وأنت في عرض البحر، تتكرر في كل يوم ، موجات الصقيع ، والعواصف الثلجية العنيفة ....

(١) ينظر رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١٦ .

كذلك نجد إشارة زمنية أخرى ، حينما تشير الراوية أنه " منذ نيف وعشر سنوات، زواجًا تقليديًا كالمتبع في كثير من البلاد العربية والإسلامية " فسعاد لصالح وصالح لسعاد " منذ كانا طفلين يدرجان على التراب ..."[١] ، كما أننا نجد الزمن الكوني على نحو قولها: (في الصباح – في الليل... بعد شهر – مر عام...الأيام التالية...ذات ليلة...بعد الظهر،في المساء–وكان الليل قد أخذ ينتصف ، مطر خفيف يتساقط "في أول الصباح إلخ) ، وكذلك نجد الزمن الخارجي هو تلك الليالي التي تحكم التجربة الروائية على نحو ما سبق الإشارة إليه.

هكذا تتعدد الأزمنة في الرواية ، ما بين أزمنة داخلية ربما تعود قصة سفينة جوهرة مسْقَط، أو "نسخة الجوهرة" الغارقة إلى زمن القرن التاسع الميلادي، وابحارها من سلطنة عمان إلى سنغافورة بالطرق البدائية القديمة وعندما واجهت السفينة الإعصار، وسط المحيط، واندفعت المياه داخلها، وأخذت تترنح، على الأمواج العالية كالجبال، توشك أن تتحطم، وتغرق، مثلما غرقت نظيرتها قبل أكثر من ألفِ عام [٢] ، كذلك نجد رواية (الجوهرة والقبطان) تتضمن أزمنة كثيرة متداخلة أولها: زمن اكتشاف السفينة الغارقة ١٩٩٨م ، ثم زمن الكتابة والنشر٢٠١٤م ، وأزمنة أخرى كثيرة داخلية تتداعى في النص الروائي ، حيث تعود أحيانا إلى المراحل الأولى للراوية ، وهذه الرواية بكل ما فيها من أحداث وأشخاص وأشياء لم تتخذ شكل الحكاية المنظومة في سلك زمني مسلسل بل هي تجربة عانتها الراوية واستقرت في عقلها وتغلغلت في وجدانها منذ حين وهي الآن تستعيد أحداثها وأشخاصها بعد انتهائها ، وتنبش عن جوانبها وجذورها ، وهي تجربة امتدت عبر الزمن ..

(١) ينظر رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني .

(٢) السابق ص ١٣١ .

المبحث الرابع

بنية المكان ودوره في تشكيل رواية الجوهرة والقبطان

وللمكان أهمية لا تختلف عن أهمية العناصر الأخرى ، كالشخصيات والزمن؛ لأنه لا يمكن أن تتصور أحداث تقع خارج المكان ، فالكاتب من خلال وصفه لمختلف الأمكنة يجعل القارئ يتخيل تلك الأماكن وكأنها حقيقة ماثلة أمامه، ومن ثم " يمتلك المكان دلالات مختلفة في العمل السردي ، فهو عنصر دال إيديولوجياً وأخلاقياً واجتماعياً ونفسياً ، فالعمل الأدبي حين يفقد المكانية فهو يفقد خصوصيته ، وبالتالي أصالته " . (١)

وهناك دراسات ترى اختلاف الفضاء الروائي عن سائر الفضاءات الأخرى كالسينما والمسرح وغيرها ، وتشير إلى أن الفضاء الروائي لا يوجد إلا في الكلمات المطبوعة في الكتابة ، وأن الفضاء النصي يقوم على جملة الرموز والعلاقات التي يضعها الكاتب ، ولذلك تنشأ علاقة بين وعي الكاتب ووعي القارئ.(٢) " إن الأمكنة وتواترها في الرواية يخلقان فضاءً شبيهًا بالفضاء الواقعي " (٣)

وخلاصة القول أن الدراسات التي أشارت إلى المكان كانت متنوعة ، لكنها تكاد تتفق على أن المكان الروائي يدرس حسب طبيعة الأمكنة التي دارت حولها

---

(١) البنى السردية : عبد الله رضوان ، ص ٥٠٣، ط دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع عمان ، ٢٠٠٣م.

(٢) على سبيل المثال: انظر: البداية في النص الأدبي صدوق نور الدين (ط١ ، دار الحوار للنشر ، ١٩٩٤م).

(٣) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي : حميد الحمداني ص ٦٥ ، ط ٣ المركز الثقافي العربي ، بيروت ٢٠٠٠م.

أحداث الرواية من شارع ، مقهى ، منزل ، زقاق ، حارة ، سجن... إلــخ ، هــذا على نحو ما رأيناه في بنية النص السردي لــ"حميد الحمداني ".

أما الدراسة فترى أنه بعيدا عن تعقيدات النقاد الحداثيين يمكننــا أن نرجــع أهمية المكان في الرواية إلى نوعين: أحدهما يتعلق بالأماكن التــي دارت عليهــا أحداث الرواية ، ويصبح الانتقال هنا انتقال شخوص أو أزمنة أو أمكنة ، والآخر يكون المكان هو: المرجع أو الإطار، وذلك يعنى أن الأحداث تأتى مــن قريــب أو بعيد، ويصبح المكان بمنزلة الإطار الذى يمزج التجربة الروائية بأثرها.

أما عن الأمكنة التي ذكرتها الرواية ، فلا نكاد نتعرف على أي: مكان فيها ، فالراوية أو سائر الشخوص لم يفردوا حديثا خاصا بالمكان ، أو ذكره بشكل خاص به يوضح معالمه وأثره على الشخصيات ، وإنمــا فقــط أمــاكن تجولــت فيــه الشخصيات أثناء تحركاتهم على نحو ما جاء على لسان ســعاد وهــي تــروي- مستخدمة ضمير المخاطب – ما وقع من حوادث، وما جرى من متتاليات سردية بدءا من انطلاق السفينة الشراعية المعروفة بجوهرة مسقط، وانتهاءً بوصــولها إلى ميناء سنغافورة، مرورًا ببعض الموانئ الهندية(كوتشين) والسريلانكية (جال) ليُستقبل هو والبحارة، والجوهرة، اســتقبال الفــاتحين.. [1] ، فالمكــان لــيس إلا وسيلة انتقال الشخصية (من : إلى) ، ولعل المكان الوحيد الذى جاءنا مفصــلا إلى حد ما هو قنتب ، والملاحظ أن المؤلفة أفردت وثبة سردية خاصة لذكر هــذه المنطقة ؛ حيث توقفت لذكر هذه المنطقة ، إذ توقف السرد تماماً عما قبله وعما بعده ، وكأنه بيان من لدى الساردة سعاد لتعرفنا بمكان بناء الســفن ، وكأنهــا حدث يستدعى الدهشة والتوقف ، وعلى هذا الخبر – بناء السفن- خطــاب مــن عمال منطقة قنتب " فالجوهرة تعود لاسم السفينة الشراعية التي بناها العمانيون

(١) ينظر: رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١١٢.

في قنتب على غرار سفينة غارقة قبالة السواحل الإندونيسية في القرن التاسع الميلادي ... صالح القبطان الشجاع عقد العزم على القيام برحلته الخطيرة تأدية لواجبه، فتابع أعمال بناء السفينة في قنتب، ثم سعى جاهدا إلى تشكيل فريق البحارة المعاون فأعد العدة وجهز العتاد لركوب البحر تنفيذا لأمر قائده الذي أولاه ثقة كبيرة . (١)

كما تزخر الرواية بالأماكن الرمزية ، على نحو الجوهرة " جوهرة مسْـقَط، أو "نسخة الجوهرة" الغارقة منذ القرن التاسع الميلادي، وابحارها من سلطنة عمان إلى سنغافورة بالطرق البدائية القديمة : " ليُستقبل هو والبحارة، والجوهرة، استقبال الفاتحين " ، " . بيد أن هذا لم يكنْ الامتحان الصعب الأول، ولا الأخير، الذي اجتازته الجوهرة، وقبطانها صالح،" ، " مشهد انطلاق الجوهرة عبر المحيط " ،" وما كابده طاقم الجوهرة من أهوال ومخاطر في سبيل إيصالها إلى سنغافورة وتحقيق الحلم المخضب بزبد البحر. " ..(٢)

هنا لا تعدو الجوهرة غير كونها تعد رمزًا للسفينة الشراعية المعروفة بجوهرة مسقط ، ولعل ما يؤيد ذلك (الجوهرة/السفينة) ما يلى بعد ذلك من أحاديث خاصة عن السفينة ، وأنها لابد أن تكمل هذه الرحلة ، ، ولابد من إعادة بنائها من جديد ، ويستمر السرد الروائي في عرض عملية بناء السفينة بشكل لافت للنظر ، الأمر الذى جعل العمل يتراجع عن الرمزية إلى التسجيلية والمباشرة " كانت قد غرقت في مياه المحيط على كثب من الشواطئ الأندونيسية في القرن التاسع الميلادي، وعلى متنها عدد من البحارة العمانيين وفي جوفها نحو ٦٠ ألف قطعة من الخزف الصيني الثمين الذي يعد كنزا من

(١) ينظر : رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١١٢ .
(٢) السابق.

الكنوز المعروفة باسم كنوز التانغ ، وقد تكفلت سلطنة عمان بإعادة بناء السفينة مرة أخرى مستعينة بما لديها من خبراء، وصناع محليين، وأجانب. وعندما انتهى العمل من بناء السفينة الشراعية التي قصد من إحيائها إعادة تسيير الرحلة من ميناء مسقط، باتجاه جمهورية سنغافورة، تأكيدًا لمسار الرحلة السابق، قبل أزيد من ألف عام، "

ومن ثم تأخذنا الروائية زوينة الكلباني في رحلة بحر مفعمة بمشاعر إنسانية فوارة هي مزيج من الشوق والحزم والمحبة والإرادة لتحقيق الحلم وبلوغ الهدف إذ أن الرحلة البحرية هذه أُريد لها أن تكون صورة وتمثلاً لرحلة قديمة بسفينة لا محرك فيها ولا أدوات ملاحة حديثة سوى الأشرعة والمجاديف ، وحولت الروائية سيرة السفينة الشراعية (جوهرة مسقط) ورحلتها من عمان إلى سنغافورة ، من مجرد مسار وثائقي لرحلة بحر إلى رواية ونص يمزج بين السيرة الوثائقية والخيال الأدبي .

كما نجد في رواية (الجوهرة والقبطان) ذِكْراً لأماكن لا تعنى شيئا عن كونها ترصد حركة انتقال الشخصيات (من : إلى) على النحو المشار إليه سابقا ومن أمثلة ذلك أيضا... ينطلق من عمان إلى خارجها، أي: إلى البحر ... نجده يتجه من الخارج أي: من البحر إلى عمان، إلى الداخل ... من تخوم الصين وإلى ساحل موزمبيق ... لأن (جوهرة مسقط) بقيت هناك في سنغافورة ولم تعد إلى مسقط شأنها شأن الجوهرة الأولى التي غرقت واستقرت في أعماق البحر ... إلخ ، وهكذا نجد رغم تعدد الأمكنة واختلافها ، إلا أنها تظل مكانا واحدا ؛ إذ أنه على الرغم من هذا التعدد إلا أن القارئ سرعان ما يعود ثانية إلى وعي الروائية ، ويشعر أن ما يقرأه إنما هو تجوال في ذاكرة وعي الساردة ،

وأن سائر الأمكنة جيء بها ؛ لبيان حركة الشخوص/الشخصيات ، وكذلك الأحداث والصراع المتواجد من خلال هذه الأحداث، ولكنها تعود ثانية إلى المكان الرئيس .

كذلك نجد المكان الواقعي في رواية (الجوهرة والقبطان) حيث يتجلى المكان الواقعي من خلال حديث الساردة نفسها ، فالقبطان صالح كان يعمل صياداً " ... والدك كان صيادا فتعلمت حرفة أهلك ، هذه المهنة التي كان يتوارثها أجدادك كما يتوارثون قوارب الصيد.... والدتك كانت دوما تردد على مسامعك : يا بني الخير موجود في البحر ، لا يكن اقتناص السمك جل همك .. " . [١]

ففي بداية الرواية بل مع كلماتها الأولى نجد قوله: " لم أفكر في ذلك من قبل... ، وأنا أتساءل لماذا اختاروني؟...".[٢] ، ونلاحظ أن الروائية كانت مَعْنِيِّة في المقام الأول برصد حركة المكان ، والانتقال عبر الزمن الآخر الماضي البعيد ، لترصد جملة أحداث وقعت لها في هذا المكان...".[٣] ، مثلما ننتقل – في هذه الرواية– إلى المكان الواقعي المجرد ، الذى ينتقل مع الراوية وسائر الشخصيات انتقالاً تتابعيًا دقيقًا ، وربما يرجع ذلك؛ لأنها رواية أشبه بروايات الرحلة ، ففيها نجد الأحداث تبدأ بانتقال القبطان صالح من بلدته الأولى عمان إلى البلدان والموانئ الأخرى " سنغافورة، مرورًا ببعض الموانئ الهندية (كوتشين) والسريلانكية (جال) " [٤]

وينتقل القارئ مع الراوية لحظة بلحظة مع انتقاله المكاني ، وكأننا نتحرك مع الراوية في ذلك الانتقال الدائم ، ومنذ البداية نطالع بدء الرحلة ، " وعندما

(١) رواية الجوهرة والقبطان ص ١٠
(٢) السابق
(٣) السابق
(٤) رواية الجوهرة والقبطان ص ١١٢

انتهى العمل من بناء السفينة الشراعية التي قصد من إحيائها إعادة تسيير الرحلة من ميناء مسقط ، باتجاه جمهورية سنغافورة ، تأكيدًا لمسار الرحلة السابق ، قبل أزيد من ألف عام ، جرى اختيار عدد من البحارة العمانيين ، على رأسهم القبطان(صالح) وأعطيت إشارة الانطلاق ." [١]

كما بدأت الراوية في وصف السفينة (الجوهرة) التي سيقيم فيها القبطان صالح مع طاقمه وصفًا دقيقًا ، وعدد الغرف ، المطبخ ، الردهة الواسعة التي تفصل بين الغرف ، وكذلك وصفت قوارب النجاة التي سيحتاج إليها وصفا دقيقا لا يختلف عن الوصف الأول للجوهرة ، وتظل الكاتبة – التي تمثلها الساردة سعاد – تجول بنا عبر المناطق والأجواء والموانئ من سنغافورة ، مرورًا ببعض الموانئ الهندية (كوتشين) والسريلانكية (جال) " [٢] وهكذا لا يمكننا ذكر مكان محدد ، وإعطائه صفة المكان الروائي في الرواية – أي: البطولة المكانية إن صح التعبير– ، حيث تدور جميعها عبر الانتقال المكاني ، إذ هي رواية رحلة على نحو ما أشير إليه فيما سبق .

كما نجد الأمر نفسه في الرواية حيث تنتقل الأحداث فيها بانتقال المكان ، فنلاحظ أنها اتخذت هذه الأمكنة عناوين للفصول – في الأغلب الأعم فيها– ففي الفصل الرابع جاء العنوان " كوتشين والحب الضائع " [٣] ، والخامس عنوانه "

(١) رواية الجوهرة والقبطان ص ١١٨.

(٢) ينظر رواية الجوهرة والقبطان ص ١١٢.

(٣) رواية الجوهرة والقبطان ص ٥٩.

سرنديب والجزيرة المبتهجة " [١] ، والثامن عنوانه " مرفأ جورج تاون بجزيرة بينانج الماليزية " [٢] ، والتاسع عنوانه " المحطة الحلم ، سنغافورة " [٣]

وكأن الروائية هنا تحمل كاميرا وتنتقل انتقالاً مكانيًا ، ومع كل انتقال مكاني ينتقل السرد الروائي ، وهذا يعنى أن رواية (الجوهرة والقبطان) رواية مكانية قامت فيها الروائية برحلة كشفية لمدة أسبوع ، ولكن عبر هذا الانتقال من ميناء إلى آخر ، ومن شاطئ إلى آخر انتقلت المشاعر والأحاسيس التي تدفقت عبر تيار التذكر والتداعي على نحو ما أشير في الزمن الروائي حيث يستدعى المكان الواحد أزمنة مختلفة ، وشخوصًا وأحداثًا تتداعى من الذاكرة .

مما سبق تبين أن الكاتبة قد جعلت للمكان رؤية بارزة في العمل الروائي ، وقد اتخذ المكان موقعا متميزًا حتى وصل الأمر إلى أن أصبح المكان بطلا يحاكى الشخصيات الروائية وينافسها في الأهمية .

(١) رواية الجوهرة والقبطان ص ٨٧.

(٢) رواية الجوهرة والقبطان ص ١٧٣.

(٣) رواية الجوهرة والقبطان ص ١٩٥ .

المبحث الخامس

اللغة ودورها في تشكيل رواية الجوهرة والقبطان

تعد اللغة عنصراً رئيساً في بناء الخطاب الروائي، وملمحاً بارزاً يسهم في تشكيل العلاقة مع سائر مكونات البناء الفني للعمل الروائي من: رؤى وشخوص وأحداث وفضاء؛ ولهذه الأهمية ربط النقاد بين نجاح الأديب في نقل تجربته التي يتناولها ، وبين تمكنه من اللغة ، وهذا ما رأته "نازك الملائكة" ، حينما قالت بأن اللغة هي " كنز الشاعر وثروته ، وهى جنيته الملهمة ، ففي يدها مصدر شاعريته ووحيه ، فكلما ازدادت صلته بها وتحسسه لها كشفت له عن أسرارها المذهلة وفتحت له كنوزها الدفينة " [1] ، وإن كان كلام " نازك " يخص الشعر فإنه لا يبعد –كذلك– عن الرواية ، لا سيما الرواية الحديثة التي اقترب أسلوبها كثيرا من أساليب الشعر.

واللغة عند كاتبتنا سوف تتناولها الدراسة من خلال التقنيات العديدة ، التي اعتمدت عليها المؤلفة في رواية (الجوهرة والقبطان) ، وذلك على النحو التالي :

١– اللغة / التسجيلية ٢– اللغة / التناص

٣– اللغة / الحلم ٤– اللغة / الرمز

أولا : اللغة / التسجيلية :

يعد هذا المصطلح من أقدم التعبيرات المصنفة للرواية فلقد عرفت رواية الواقعية التسجيلية منذ القرن التاسع عشر وربما من أواخر القرن الأسبق عليه مع روايات "فيلدنج واسكندر ديفو ثم ديكنز وفيكتور هوجو" ، وكانت التسجيلية

(١) الشاعر واللغة ، مقال ، نازك الملائكة ص١٨ (مجلة الآداب ، بيروت ، العدد العاشر ، أكتوبر ١٩٧١م).

عندئذ أكثر بساطة حيث لا تعدو أن تكون مجرد عملية رصد وتسجيل المشاهدات الواقعة أمام عين الراوي بدرجة عالية من الدقة والتفصيل.

وفى العقود الأخيرة أخذت التسجيلية وتقنياتها اهتماما كبيرا من النقاد ، ونتيجة لهذا الاهتمام فقد وجدنا "إ.م. فورستر" يرجع ميزة الرواية إلى أن الكاتب يستطيع أن يتكلم عن شخصياته ومن خلالها ، وكذلك يستطيع الاطلاع على أحاديث الذات النفسية ، ومن هذا المستوى يستطيع أن يهبط أعمق وأعمق ويرمق الحس الباطن.(١)

أما التسجيلية عند زوينة الكلباني ، فنلاحظ أن الكاتبة قد أعجبت بها كثيرا ، يؤكد ذلك أن الكاتبة قد قضت فترة ليست بالقصيرة في قراءة تاريخ عمان القديم؛ وذلك لتجهز مادة رواية (الجوهرة والقبطان) ذلك التاريخ لمن يعرفه ، تاريخ موغل بالقدم ، بالاتجاه ، نحو البحر في عهود حين كانت الإمبراطورية العمانية ملكة البحار الجنوبية وأكبر دولة عربية في التاريخ القريب أو العصور الحديثة امتدت سواحلها من تخوم الصين وإلى ساحل موزمبيق ، كما امتدت في عمق الخليج العربي حتى وصلت البصرة ودافعت عنها بوجه الغزاة ، فطردوهم وطاردوهم مما مهد لقيام الدولة وأقول الإمبراطورية العمانية البوسعيدية الكبرى وعاصمتيها زنجبار ومسقط .

ونجد التسجيل عند الكاتبة يظهر بصورة كبيرة جدًا في الرواية وهذا أمر طبيعي ، إذ إن الرواية تتحدث عن الرحلة العمانية الثانية للجوهرة ، وكان ذلك هو سبب كون الرواية متعمقة أكثر في سرد تفاصيل الرحلة ، من ذلك وصفها لمشاهد تضفي على السرد غير قليل من التشويق ، والإثارة ، من ذلك مشهد

(١) ينظر: أسس النقد الأدبي الحديث ، إ.م فورستر ص١٢٨ (د.ط ، وزارة الثقافة ، دمشق ،١٩٦٦م).

انطلاق الجوهرة عبر المحيط ، ومشهد الإعصار، وما تخلله من اضطراب الموج المتلاطم وترنح السفينة الشراعية ، والشعور بالرعب الذي طغي على بعض البحارة ، مما يُذكِّرُ بمشاهد سينمائية تتخلل أفلام المغامرات البحريّة ، وهي أفلام متكرِّرَة ، يكاد أكثرها لا يخفى على أحد ، ولكن هذه المشاهد – في الواقع- تتكدَّس في صفحات الرواية كثيرًا ، بل وصل الأمر لوصف السفينة (الجوهرة) التي سيقيم فيها القبطان صالح مع طاقمه وصفًا دقيقًا ، وعدد الغرف ، المطبخ ، الردهة الواسعة التي تفصل بين الغرف ، وكذلك وصفت قوارب النجاة التي سيحتاج إليها وصفا دقيقا لا يختلف عن الوصف الأول للجوهرة ،

وقد لاحظت الدراسة أن الرواية استطاعت حشد كم هائل من المعلومات التاريخية ، وهنا يمتلئ المتلقي من بداية الرواية بهذه الروح المقشعرة من جو الاستعدادات البحرية ، وتمثل ذلك في صوت البرق ومشهد الإعصار، وما تخلله من اضطراب الموج المتلاطم ، وترنح السفينة الشراعية ، والشعور بالرعب الذي طغى على بعض البحارة .. [1]

كما لوحظ على الكاتبة في الرواية نفسها تسجيلها للكثير من الأمور التقليدية العادية ، وكان يجب عليها عدم الاستطراد في وصف تلك الأمور ، حيث إنها تبعد القارئ عن أحداث الرواية فضلا عن أنها تعد أمورا معروفة لدى الجميع.

(١) رواية الجوهرة والقبطان ص ١١٢.

ثانيا: اللغة / التناص (*):

النص الروائي هو نسق لغوي قابل للإنجاز والتأويل، والقراءة النموذجية الوجيهة هي التي يمكنها أن تفّعل النص في علاقات بنصوص أخرى، فالنص يتمثل ويفهم على نحو علائقي موصول بنصوص أخرى تتفاعل فيما بينها. وينهض التفاعل النصي على استدعاء النصوص السابقة في نص لاحق للتفاعل معها وإعادة إنتاجها من جديد .

فالتناص هو أن يتضمن نص ما – روائي أو غير روائي– نصًا آخر ، بحيث يظهر لنا وجود النصين معا إلى إحداث عدد من الإحالات الإضافية إلى خارج النص الأصلي ، وكذلك عدد من المناخات الجديدة التي "يعجز عن إشاعتها بمفرده أو تكون إشاعتها دون القوة المرجوة ، ما لم تتم الاستعانة بالنص المتضمن. بالإضافة إلى وجود بعض المقاصد التقليدية المتوخاة من عملية التناص ، كالتمثيل ، والاستشهاد ، والاقتباس".(١) ، وقد عرض النقاد العرب ملامح وتعريفات للتناص حتى يستسيغه المتلقي ، من هؤلاء "محمد مفتاح" ، الذى يرى

(*) التناص: مصطلح له جذوره في البلاغة العربية القديمة ، تحت مسمى التضمين ، حيث يشير ابن الأثير إلى مفهوم التضمين فيقول: "هو أن يضمن الشاعر شعره والناثر كلاما آخر لغيره قصدا للاستعانة على تأكيد المقصود" يراجع: ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق: د. أحمد الحوفي ، ص٢٠٣ (القاهرة ، دار نهضة مصر ، د.ت ، جـ٣) – لذا فالتضمين هو الأخذ عن النصوص الأخرى المختلفة ــ التي تدخل في ثقافة الأديب الدينية أو الأدبية أو التاريخية ، التي يضمنها نصه الأدبي ، دون إشارة إلى مصادرها ، يراجع: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، آمنة يوسف ، ص١٢٣ (دار الحوار ، سورية ، ط١، ١٩٩٧م).

(١) سرديات الرواية العربية المعاصرة ، د. صلاح صالح ص٢٢١ (المجلس الأعلى للثقافة).

أن التناص "يعنى التعالق أي: الدخول في علاقة بين نص أدبي ونصوص أخرى مختلفة...".[١]

بينما يرى الدكتور "جابر عصفور" أن التناص "لابد أن يقدم منطوقصًا جديدًا ؛ وذلك ما يحدث من عملية تحول عند التداخل بين النصين ؛ فيقول : فالتناص تحول من نسق (أو أنساق) علامة إلى نسق آخر (أو أنساق) على نحو يستلزم منطوقا ما تؤكده هذه العلاقة من هوية خلافية تتحدد بها دلالات النص في علاقته بغيره...".[٢]

استطاعت الكاتبة زوينة الكلباني قراءة العديد والكثير من المجالات المعرفية كحال غيرها من الكتاب ، خاصة دواوين الشعراء الجاهليين والإسلاميين فضلا عن كتب التاريخ والسير ، وأيضًا العديد من الأخبار والمسودات المعدة عن مشروع إعادة تسيير رحلة الجوهرة من ميناء مسقط، باتجاه جمهورية سنغافورة، تأكيدًا لمسار الرحلة السابق، قبل أزيد من ألف عام. والملاحظ أن فهم زوينة الكلباني للتراث كان فهمًا مختلفًا ، فهو على سبيل المثال ترى أن الرحلة الحقيقية هي رحلة سعاد زوجة القبطان وسيرتها العاطفية مع زوجها قبطان الجوهرة والذي وقع قبل الإبحار في غرام امرأة أخرى هي: منال، وكما استطاع صالح أن يرسو بجوهرة مسقط في بر الأمان السنغافوري نجحت زوجته سعاد وبمسار موازٍ في أن ترسو بعائلتها في بر الأمان عبر استعادتها لسلام الأسرة ولزوجها وقلبه بعد أن كادت عواصف حبه لمنال أن تهدم كل شيء وتسرقه منها، تماما كما نجح صالح في التغلب على عواصف البحر وخاصة الإعصار المسمى ب

(١) يراجع: متخيل الخطاب الشعرى (استراتيجية التناص) ، محمد مفتاح ص١٢١ (دار التنوير للطباع والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م).

(٢) ذاكرة الشاعر ، جابر عصفور ص٢٩ (الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٢م).

(ليلى) ولنلاحظ هنا ذكاء المؤلفة في استثمار هذا الاسم للإعصار المعروف واستنطاق لدلالاته العاطفية (حكاية مجنون ليلى)، وكيف استطاعت الكاتبة زوينة الكلباني التعبير عنها – روائياً – باستخدام التناص ببراعة ونجاح . [١]

وكذلك نجد الكاتبة تستفيد من التراث ، الإسلامي ، وذلك من خلال اقتباس بعض الآيات القرآنية ، والأدعية المطلوبة عند ركوب الدابة : " أحضر أبو حمزة ابنته فاطمة إلى السفينة – إنها زهرة يانعة في روض الصبا – لتتلو عليكم بعض الأدعية ... وشرعت تقرأ الدعاء بصوت مؤثر : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ..... وقامت الطفلة بترديد قوله تعالى : (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم) [٢] ، كنتم ترددون الدعاء وراءها بصوت عال .. ووالدها يعقب خلفكم : اللهم اقبل .. اللهم استجب .. آمين ..آمين .. إنك سميع مجيب الدعاء ". [٣] " ... تشد على يديه بقوة ، تسلمه الهدية المطوية التي لم تخنها لحظة ، وهي عبارة عن قطعة مربعة من قماش الشراع مرسوم عليها الجوهرة ومطبوع أسفلها آية قرآنية كريمة بالخط الكوفي : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) [٤] " [٥]

(١) رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١٩٧
(٢) الآية (٤١) من سورة هود .
(٣) رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١١٨
(٤) الآية (٨٥) من سورة القصص .
(٥) رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١٩٩

ثالثا: الحلم في الرواية :

ومن عناصر بناء الحدث الروائي في رواية الجوهرة والقبطان الحلم ، حيث يعد أداة يلجأ إليها الكتاب كوسيلة " للكشف عن طموحات الشخصية ، وبخاصة التي تعجز عن تحقيقها في اليقظة ، كما يستخدمه الكاتب في الأوقات التي تعانى فيها الشخصية من الإحباط والتوتر والأزمات النفسية".[١] ، ورغم حرص الكاتبة على الحبكة الروائية التي تدفع بالحدث نحو النمو والتطور منذ البداية ، إلا أنها تعمد إلى وسائل تقنية تغاير هذا الترتيب؛ لدفع الحدث ومن جملة هذه الوسائل الأحلام ، والتي تجعل الأحداث تبدو على السطح قبل وصول القارئ إليها بترتيبها الطبيعي وتسمى حينئذ بالحلم الاستشرافي ، ذلك الذى يبدو قبل مجيئ أحداثه على المستوى الواقعي في عالم القصة ، وهى نوع من تيار الوعي أي: شرود الذهن سواءً في اليقظة أو النوم ، الأمر الذى وجدناه في الحلم ببناء السفينة التي التقت بالموت وأشرفت على الغرق في أكثر من موضع ، وما كابده طاقم الجوهرة من أهوال ومخاطر في سبيل إيصالها إلى سنغافورة وتحقيق الحلم المخضب بزبد البحر ..كم من التجار والغزاة عبروك في الحلم ". [٢]

حين نتأمل هذا النص الشعري الذي اختارته الكاتبة كمفتتح ثان للرواية نجده يتجه من الخارج أي: من البحر إلى عمان، إلى الداخل فتأخذنا الروائية العمانية زوينة الكلباني في رحلة بحر مفعمة بمشاعر إنسانية فوارة هي مزيج من الشوق والحزم والمحبة والإرادة لتحقيق الحلم وبلوغ الهدف .

---

(١) بناء الرواية ، عبد الفتاح عثمان ص٣١١ (مكتبة الشباب ، القاهرة ، د.ت ، بدون رقم طبعة).

(٢) رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ٣.

كذلك نجد من الأحلام عند الكاتبة في هذه الرواية (الجوهرة والقبطان) ما يكتشف المكونات الأولى لشخصية سعاد زوجة القبطان صالح والتي خاضت رحلة روحية وعاطفية موازية للرحلة ونجد أنها ومنذ صباها تحلم ببحار هي لؤلؤته، ونتعرف على علاقتها بالبحر عبر ذهابها مع زميلاتها للمدرسة بقارب، وسيرهن على الجبل ورسمهن لعلم عمان وطنهن وهن يغادرن مدرستهن، مدرسة راشد بن النظر أحد أئمة عمان والذي في عهده تفرق العمانيون وكأنه درس يتضمن إشارة خفية ومزدوجة هنا، الأولى أنك حين تغادر التفرق تستطيع أن ترسم الوطن، والثانية رسالة مشفرة إلى القبطان صالح، أنك لن تنجح إلا إذا كنا معاً من دون أن يفرقنا أحد لا (منال) ولا الأهواء كما تفرقت البلاد في عهد الإمام راشد بن النظر.. وهكذا الحال في الجوهرة والقبطان فإن القارئ سيجد إحاطة المؤلفة بكل تفاصيل السفينة والرحلة والموانئ التي رست فيها والشخصيات التي استقبلتها بشكل يكشف عن مدى الجهد الكبير الذي بذلته المؤلفة لإنجاح عملها السردي الجميل هذا .

هكذا كانت الأحلام في رواية الجوهرة والقبطان تمثل نوعا من الجانب النفسي والعالم الداخلي للشخصيات حيث نقلت الكاتبة للقارئ أفكارهم وأحاسيسهم وأحلامهم مستعينة بتقنيات تيار الوعي ، على نحو ما رأينا في الرواية التي تجلت من وعي أو ذاكرة الساردة .

رابعا : الرمز (*) :

يحتاج العمل الأدبي – وخاصة الرواية – لنوع من التعمية على الأمور الحقيقية ، إذ إنه لا طائل من وراء العمل الأدبي إن كان واضحا لدرجة السطحية والعمل الأدبي إذا خلا من الرمز فإنه يبتعد بدرجة كبيرة عن التأثير على قارئ العمل الأدبي ، لكن يشترط ألا يكون الرمز بعيدًا ، بحيث يصعب على القارئ اكتشافه ، أو إدراكه إلا بعد معاناةٍ شديدة ؛ لأن ذلك يؤدى إلى نفور القارئ من جهة ، وعدم فهمه لغرض الرواية من جهة أخرى.

وقد عرف الرمز حديثا باعتباره "طريقة في الأداء الأدبي تعتمد على الإيحاء بالأفكار والمشاعر بدلا من تقريرها ، أو تسويتها أو وصفها".(١)

ومن الأمور التي أسهمت في ازدهار الرمزية وتأصيلها كمذهب فنى "التوسع في دراسات علم النفس من جهة ، ومعرفة ما سمى بالشعور واللاشعور ومناطق الوعي واللاوعي في النفس الإنسانية من جهة أخرى ، كذلك التوسع في دراسة علم اللغة وعلاقتها بكل من العقل المنشىء لها ، وإدراك السامع الذى يستقبلها ،

(*) الرمز: كلمة تدور في لغتنا العربية حول معانٍ كثيرة ، أهمها الإيماء ، الإشارة –بأي شيء انظر مادة (رمز) في القاموس المحيط– للفيروزابادي– مطبعة البابي الحلبى ط٢ ، ١٩٥٢م ، وكذلك المادة نفسها في لسان العرب –لابن منظور– تحقيق عبد الله الكبير ، ومحمد حسب الله ، وهاشم الشاذلي– دار المعارف. وتعنى هذه الكلمة في اصطلاح الأدباء والنقاد حول التعبير عن المعاني بالرموز والإيماء ، وذلك حتى يشارك المتلقي بخياله في تكميل الصورة أو تقوية العاطفة.

ينظر مادة (رمز) في المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ط٢ ، دار المعارف ١٩٧٣م.

(١) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر د. محمد فتوح أحمد ، ص٣ (دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٨٤).

فتنادوا بأن اللغة ليست إلا رموزا صوتية أو شكلية لفكرة ما موجودة في الذهن مسبقا".[١] ، ومن هنا نادى الرمزيون باستخدام اللغة في "نقل صور من العقل الباطن ، لا عن طريق الافصاح والوضوح -كما في حالة الوعي- وإنما عن طريق الاشارة والرمز... وأصر الرمزيون على أن هذه الطريقة في التعبير أقدر على نقل الواقع النفسي والتجارب الوجدانية من الحديث المطلق الصريح الذى يصف الأشياء بأسمائها وأشكالها حسب تصور العقل الواعي لها ".[٢]

ورواية الجوهرة والقبطان تزخر بالدلالات الرمزية ؛ الأمر الذى نطالعه مع بداية الرواية حتى آخرها الأمر الذي يجعل الرواية تحظى بشكل يحول الدلالة اللفظية إلى رمز كلي أو على الأقل تتسع رقعة هذه الدلالة من شيء محدد إلى كل أشياء ومفردات الرواية على نحو ما سنشير إليه ، ففيها نجد حلم صالح وسائر الشخصيات ببناء السفينة ، بل نراها تتحدث ، وتوحى إلى الشخصيات بأشياء كثيرة ، ويستغرق السرد الروائي عنها صفحات عديدة " وعندما انتهى العمل من بناء السفينة الشراعية التي قصد من إحيائها إعادة تسيير الرحلة من ميناء مسقط، باتجاه جمهورية سنغافورة، تأكيدا لمسار الرحلة السابق، قبل أزيد من ألف عام، جرى اختيار عدد من البحارة العمانيين، على رأسهم القبطان(صالح) وأعطيت إشارة الانطلاق " [٣] ، وكأنه قدر مماثل لقدر السفينة الجوهرة التي رحلت من مسقط إلى سنغافورة مرتين، الأولى أخفاها البحر ، والثانية قيض لها أن تنجو وترى النور وتجتذب الأضواء،

(١) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر د. محمد فتوح أحمد ، ص١١٤.

(٢) السابق نفسه ، ص١١٥.

(٣) رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١١٢

كما نجد في السرد إشارة على أن السفينة تبعد عن المعنى المباشر لها ، ويتحول إلى دلالات رمزية ؛ وتتعدد الدلالات الرمزية للسفينة ، من خلال الرواية نجد أنه قد تعنى السفينة مرة وجوهرة صالح مرة أخرى ، والرحلة تعني الرحلة البحرية مرة ، وقد تعني الرحلة الإنسانية مرة أخرى ، ومن هنا نجد الكاتبة حولت سيرة السفينة الشراعية (جوهرة مسقط) ورحلتها من عمان إلى سنغافورة، من مجرد مسار وثائقي لرحلة بحر إلى رواية ونص يمزج بين السيرة الوثائقية والخيال الأدبي عبر اجتراح رحلة إنسانية أخرى مسايرة للرحلة البحرية بقيادة القبطان صالح ، برع خيال المؤلفة برسمها وهي رحلة سعاد زوجة القبطان ومشاعرها العاطفية مع زوجها قبطان الجوهرة والذي وقع قبل الإبحار في غرام امرأة أخرى هي: منال، وكما استطاع صالح أن يرسو بجوهرة مسقط في بر الأمان السنغافوري نجحت زوجته سعاد وبمسار موازٍ في أن ترسو بعائلتها في بر الأمان عبر استعادتها لسلام الأسرة ولزوجها وقلبه بعد أن كادت عواصف حبه لمنال أن تهدم كل شيء وتسرقه منها، تماما كما نجح صالح في التغلب على عواصف البحر وخاصة الإعصار المسمى ب (ليلى) ولنلاحظ ــ هنا ــ ذكاء المؤلفة في استثمار هذا الاسم للإعصار المعروف واستنطاق لدلالاته العاطفية (حكاية مجنون ليلى)، ولكنها استعادة ناقصة ستبقى ظلال الشك مخيمة عليها ويشوبها أثر الألم النفسي ووجع الجراح الروحية تماماً مثلما كانت الرحلة البحرية ناقصة ويشعر القارئ عند نهايتها وسماع القصة الواقعية بغصة ألم وأسف؛ لأن (جوهرة مسقط) بقيت هناك في سنغافورة ولم تعد إلى مسقط شأنها شأن الجوهرة الأولى التي غرقت واستقرت في أعماق البحر، هذه التقابلات الرمزية بين الرحلتين: رحلة القبطان صالح وعلاقاته بأفراد الطاقم وهم من مختلف الشعوب (إشارة لها دلالاتها على عالمية النشاط العماني وشموليته)،

ورحلة سعاد لاستعادة جوهرتها الخاصة(صالح)، تكشفان عن الــروح العمانيــة المغامرة ، واستطاعت الكاتبة التعبير عنها – روائياً – ببراعــة ونجــاح ، بــل اتسعت الدلالة الرمزية لتشمل الرواية كلها برحلاتها الثلاث ، رحلة جوهرة مسقط الأولى التاريخية الغارقة ، ورحلة جوهرة مسقط الثانية الناجحة ، ورحلة ســعاد تجاه جوهرتها صالح .

وخلاصة القول: أن اصطناع الرمزية في الأدب –إذا استعملت برشد وفنية– قد تكون فائدتها أوسع مدى في الاستعمالات مما ذكره المنظرون لها "لأن الرمــز يكشف عن أكثر من دلالة تثرى العملية الأدبية إثراءً شديدًا، يدركها النقد الواعي بما يتاح له من أبعاد وأعماق يكتسبها العمل الفني ، ويلقى العمل الفنــي بظلــه وإسقاطه على كل العصور".[١]

(١) الأسس الفنية والعامة للنقد الأدبي الحديث (كتاب جامعي) ، د. محمدين محمد يوسف ص١١٥ (كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط الجديدة).

المبحث السادس

الأسلوب (*) ودوره في تشكيل رواية الجوهرة والقبطان

ولأهمية الأسلوب ودوره المؤثر في نجاح أي رواية أو عمل فنـــى ، نجـد "ألبيرس" يقول: إن قيمة الرواية " ليست في الموضوع بل في الأســلوب " (١) ، لذا فيشترط في الأسلوب – حتى يؤدى دوره في التأثير على المتلقي- أن يكــون صادقا ، بمعنى أن يكون معبرًا عن النفسيات والصراعات الداخلية ، والذى: يــدل على مستوى الشخصية فكرًا وسلوكًا ، مع الابتعاد عن الإبهام والزخرف وكل ما يبعد عن حياة الناس اليومية واستعمالاتهم اللغوية ، وكذلك يشترط في الأســلوب أن يكون معبرًا عن إحساس الكاتب ووعيه بقضايا المجتمع الذى يصوره ، وكذلك يشترط على الأديب أن يكون متمكنا من أدوات الفن التي يعبر بها .

وقد سلك الكتاب من حيث الأسلوب طرقا مختلفة ؛ حيــث إن لكــل كاتــب طريقته الخاصة في التعبير عن تلك الطريقة ، التي تميزه عن غيره ، ولا نكــون مبالغين إذا قلنا: إن أكثر الكتاب يعرفون من خلال طرقهم التعبيرية ، أو أساليبهم

(*) الأسلوب في لسان العرب: يعنى المنهج والطريقة ، وقيل: إن الأسلوب هو الطريق والوجه والمذهب لسان العرب لابن منظور ، ص٤٧٣ (المجلد الأول ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٤م). والأسلوب هو "العلم الذى يدرس وقائع التعبير اللغوي مــن ناحيــة محتواهــا العاطفي ، أي: التعبير عن وقائع الحساسية الشعورية من خلال اللغة وواقعها مــن خــلال هذه الحساسية" ، الأسلوبية والبيان العربي ، د. محمد عبد المــنعم خفــاجي وآخــرون ، ص١٤ (الدار المصرية اللبنانية) القاهرة ، ١٤١٢-١٩٩٢م).

(١) تاريخ الرواية الحديثة ، ر.م. ألبيرس، ترجمة : جــورج ســالم ، ص٤١٩ (منشــورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٩٨٢).

البيانية ؛ إذ إن أسلوب الفن الأدبي يعنى الطريقة التي يستطيع بها الكاتب أن يصطنع الوسائل التي بين يديه لتحقيق أهدافه الفنية.

وسوف تتناول الدراسة الأسلوب في رواية الجوهرة والقبطان من خلال ما يلي :

أولا : أسلوب السرد. ثانيا : أسلوب الحوار.

أولا : أسلوب السرد(*) :

يرفع " رولان بارت " شعار (موت المؤلف) ويرى أن الكتابة هدم لكل

(*) فالسرد لغة هو تقدمة شيء إلى شيء ، فنقول: سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه ، وفلان يسرد الحديث سردا ، إذا كان جيد السياق له ، وفى صفة كلامه – صلى الله عليه وسلم – : لم يكن يسرد الحديث سردا ، أي: يتابعه ويستعجل فيه ، وسرد القرآن أي: تابع قراءته ، لسان العرب لابن منظور ، مادة (س ر د).

والسرد اصطلاحا: فرع معرفي يحلل مكونات المحكي ، ولكل محكي موضوع ، إذ إنه لابد من الحاكي أن يحكى عن شيء ما ، وهذا الموضوع يعد الحكاية ، وهذه الحكاية يجب أن تنقل إلى المتلقي بواسطة فعل سردي هو السرد ، ويعد السرد والحكي مكونان ضروريان لكل محكي : نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير ، ترجمة: ناجى مصطفى ، ص٩٧ (منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٩).

ومن هنا فالسرد: مصطلح أدبى يقصد به الطريقة التي يصف أو يصور بها الكاتب جزءا من الحدث أو جانبا من جوانب الزمان أو المكان الذى يدور فيهما ، أو ملمحا من الملامح الخارجية للشخصية، أو قد يتوغل إلى الأعماق ، فيصف عالمها الداخلي وما يدور فيه من خواطر نفسية ، دراسات في نقد الرواية ، د. طه وادى ، ص٤٣ (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩).

أو هو بتعريف آخر: الحكي الذى يتدرج من الأفعال البدئية التصرف للتلفظ بكلمات تعطى دلالات متتابعة ، وصولا إلى الرواية التي تجسد وجود الفني بأكمل صوره ، ولا يمكن عدّ جميع أفعال الحكي على درجة واحدة من المقاربة مع التجسدات الفنية لهذه الأفعال ، د. صلاح صالح: سرديات الرواية العربية المعاصرة ، ص٩ (المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٣).

صوت وإنها الحياد ، وأن اللغة هي التي تتكلم وليس المؤلف [١] ، وأيضا "كايزير" في بحثه (من يحكى الرواية؟) ينتهى إلى أن الرواية شخصية تخيلية تقمصها المؤلف ، وأن السارد في فن الحكي ليس أبدا المؤلف ، بل الحاكي للرواية لا يتجاوز كونه دورا يختلقه المؤلف ويتبناه .[٢]

ورواية (الجوهرة والقبطان) تنهض على راو واحد ربما هو الشخصية الوحيدة في النص الروائي المتحدثة ، وعلى لسانها قامت الرواية ، حيث تقوم حبكتها السردية على حكاية واقعية حقيقية ، ففي العام ١٩٩٨م عثر صياد مشغول بالبحث عن قوت يومه على حطام سفينة شراعية عمانية كانت قد غرقت في مياه المحيط على كثب من الشواطئ الأندونيسية في القرن التاسع الميلادي، وعلى متنها عدد من البحارة العمانيين وفي جوفها نحو ٦٠ ألف قطعة من الخزف الصيني الثمين الذي يعد كنزا من الكنوز المعروفة باسم كنوز التانغ. وقد تكفلت سلطنة عمان بإعادة بناء السفينة مرة أخرى مستعينة بما لديها من خبراء، وصناع محليين، وأجانب. وعندما انتهى العمل من بناء السفينة الشراعية التي قصد من إحيائها إعادة تسيير الرحلة من ميناء مسقط، باتجاه جمهورية سنغافورة، تأكيدا لمسار الرحلة السابق، قبل أزيد من ألف عام، جرى اختيار عدد من البحارة العمانيين، على رأسهم القبطان(صالح) وأعطيت إشارة الانطلاق. وقد برع خيال المؤلفة في رسم رحلة إنسانية أخرى مسايرة للرحلة البحرية ، وهي رحلة سعاد زوجة القبطان ومشاعرها العاطفية مع زوجها وحبيبها وأبي أولادها

(١) ينظر: مقال جوانب من شعرية الرواية ، د.أحمد صبره ص٤٣ فصول (مجلد١٥، عدد٤ ١٩٩٧).

(٢) ينظر: مقال من يحكى الرواية؟ من كتاب طرائق تحليل السرد ، كايزيرز ص١١٠ (ط١ ، اتحاد كتاب المغرب ، ١٩٩٢).

قبطان الجوهرة والذي وقع قبل الإبحار في غرام امرأة أخرى هي منـــال، وكمـــا استطاع صالح أن يرسو بجوهرة مسقط في بر الأمان السنغافوري نجحت زوجته سعاد وبمسار مواز في أن ترسو بعائلتها في بر الأمان عبر اســـتعادتها لســـلام الأسرة ولزوجها وقلبه ..

تبدأ الساردة عبر تيار الوعى والاسترجاع والارتداد الزمنى تصوير جملـــة الأحداث الواقعة في الرحلتين ، على نحو ما أشير إليه في البداية؛ ولـــذا تســـير أحداث الرحلتين في خطين متوازيين ، و تتحرك الشخصيات ، الأزمنة ، الأمكنـــة جميعها من عقل ووعى الساردة "سعاد"، وكأن الشخصيات دمى تحركهـــا وقتمـــا تشاء وأين تشاء وفق إرادتها هي، فوعى الساردة هو رابط هذه التجربة الروائية جميعها ، ولأن تدفق تيار الوعى لا رابط له منطقيا ، فإن المتلقي يجد نفسه إزاء أزمنة وأمكنة متداخلة ، سريعة الانتقال ما بين الماضـــي (الســـفينة الجـــوهرة) والحاضر (الجوهرة صالح) ، ولكن الجدير بالذكر أنه كيف استطاعت سعاد رصـــد جملة الأحداث الواقعة في الرحلتين ؟ ، وكأنها أحد هذه الشخصيات التي تعـــيش في خضمها ، علما بأنها كان غائبة حيث إقامتها مع ابنها حمزة فـــي مســـقط ، المكان الموازي للمكان الرئيسي في الرواية ، فإذا كانت أحـــداث الســـفينة فـــي اللحظة الآنية فكيف استطاعت لسعاد رصد التطورات التي طرأت علـــى المكـــان الغائبة عنه؟!

وأيضا مما يلفت النظر أن أحاديث صالح عن منال غير مسموعة ، وتأتينـــا من وعي سعاد ، إن البطل في هذه الرواية لا نستطيع القول بأنها سعاد باعتبارها المتحدثة الرسمية وناقلة التجربة وراويتها الوحيدة ، وأيضا لا نستطيع أن نعـــد صالحاً بطلا إذ هو المحرك أو المثير الأصلي لدواعي الحكي ، ولولاه مـــا كانـــت الرواية ، كذلك لا نستطيع أن نقول منال ، أو أمينة ،... إحداهن هي البطلة ، أو

كأنهن شخصية واحدة .. وهكذا لا نستطيع إسناد البطولة لأي شخصية من شخصيات العمل ، وإن جاء السرد كله على لسان أو من وعي سعاد ، إنما هي فقط دور لا تعدو عن كونها راصدة لهذه الأحداث.

إنها جميعا شخصيات قدرية تتحرك دون إرادة ، وإنما وفق مصير مرسوم ومحدد من ذي قبل ، ربما قبل كتابة الرواية نفسها، إنها شخصيات لا تملك لنفسها غير التحرك نحو القدر المرسوم ، ويحس القارئ إزاءَها بتناقض الرواية مع الواقع الحياتي الممكن ،لا الواقع الذي ينبغي أن يكون.

وهذا لا ينفي عن الكاتبة قدرتها على كتابة رواية بمنتهى الواقعية، لو أرادت، فهي تتحكم بشروط السرد السلس، وتراعي العلاقات بين الحوادث، وما يحيط بها من عوامل الزمان، والمكان، وتتقن وصفها لمشاهد تضفي على السرد غير قليل من التشويق، والإثارة، من ذلك مشهد انطلاق الجوهرة عبر المحيط، ومشهد الإعصار، وما تخلله من اضطراب الموج المتلاطم، وترنح السفينة الشراعية، والشعور بالرعب الذي طغي على بعض البحارة، مما يُذكِّرُ بمشاهد سينمائية تتخلل أفلام المغامرات البحريّة، ومن ثم فإن القارئ سيجد إحاطة المؤلفة بكل تفاصيل السفينة والرحلة والموانئ التي رست فيها والشخصيات التي استقبلتها بشكل يكشف عن مدى الجهد الكبير الذي بذلته المؤلفة لإنجاح عملها السردي ، ومن الملاحظ أن سائر شخصيات الرواية تتحرك وفق أقدار مكتوبة عليها منذ البدء ، وقد أغفلت الروائية الملامح النفسية والذاتية لتلك الشخصيات .

ثانيا : أسلوب الحوار :

ويعد الحوار ركنا من أركان الأسلوب في الرواية ، حيث يعمل على رفع الستار عن أحاسيس الشخصية تجاه الحوادث أو الشخصيات التي تتعامل معها في

الرواية وهذا ما يسمى بالاعتراف [١] ، ويقصد به: العبارات المتبادلة بين شخصيات القصة ، أو بعضها في موقف من المواقف ، على هيئة جمل متبادلة بين الشخصيات ، قد تطول ، أو تقصر حسب الغرض الذى من أجله كان الحوار ، ويسهم الحوار في رسم الشخصية ، والكشف عن ما تكنه في نفسها تجاه تفاعلها مع الشخصيات الأخرى[٢] ،

أما عن رواية الجوهرة والقبطان فقد اهتمت الكاتبة زوينة الكلباني بالحوار وقد كان الحوار في الرواية مقسمًا إلى قسمين: الأول: الحوار الخارجي ، الثاني: الحوار الداخلي .

أما الحوار الخارجي فقد وفقت فيه الكاتبة ، حيث كان الحوار فيه –غالبا– يأتي حتى يكشف عن طبيعة الشخصية أو لكي يعمق الحدث ، وذلك نحو حوار عبد الله – شقيق صالح – مع أمه يداعبها ويهمس في أذنيها : [٣]

أمي ،ستفتخرين بابنك إن انضم إلى الجوهرة .

أنا فخورة بابني في كل الأوقات ،وعلى يقين بأنني أنجبت رجلا يتحدى الأهوال .

وبعد لحظات كشفت الأم عن هواجسها ، واقتربت من صالح تخاطبه :

صالح ، لقد تولى من العمر أكثر مما بقي ، لا تفجع قلبي برحيلك المتكرر ، ولا تحرمني منك بطول أسفارك ، الحياة يا ولدي غالية لا يسترخصها الإنسان ، ولا يفرط فيها مهما كانت الأسباب .

---

(١) ينظر: فن القصة ، د. محمد يوسف نجم ، ص١١٨ (دار الثقافة ، بيروت).

(٢) ينظر: القصة من خلال تجاربي ، عبد الحميد جودة السحار ، ص١٨ (دار مصر للطباعة ، مكتبة مصر ، سعيد جوده السحار وشركاه).

(٣) ينظر رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ٢٥

قبَّل صالح رأس والدته ، وخاطبها مبتسما :

ولكن الله ييسر كل صعب ، ويسهل كل عسير ، وبقدر ما لاقيت من أهــوال وصعاب كان فضل الله عليَّ عظيما ... وبقدر ما نحتمل من الصعاب يكون نجاحنا في هذه الحياة !!

فالحوار هنا يكشف لنا عن المكانة الكبيرة التي كان يتمتع بها صالح بــين أفراد عائلته .

كما يأتي الحوار الخارجي عند الكاتبة لكى يكشف عــن الملامــح النفســية والعاطفية والفكرية للشخصيات حيث تقدم من خلاله أبعادا جديدة عن شخصياتها الحية ، يدلل بها عن معايشتها للحدث وانصهارها مع بقية الشخصيات ، فتظهــر آراؤها وتتضح نظرتها للحياة ، وعلى لسانها نستطيع التعرف علــى عواطفهــا وتكوين وجهة نظر حول حقيقتها ومدى تعبيرها عن واقع الشخصية الفعلي فــي الحياة ودرجة تأثيرها من خلال عالمها الروائي ، ويظهر ذلك جليا أيضا من خلال حوار صالح مع حبيبته منال : (١)

منال حبيبتي يا أجمل حكاية عشق ..أحبك ..أحبك ...وكم أفتقدك

صالح ، هذا الشهر كان مساحة كافية لي للتفكير بهدوء ورويــة ... هــذا الحب الذي تتحدث عنه سيطير من أقرب نافذة .. بسبب ما أشعر بــه الآن مــن تأنيب الضمير .. انا على يقين أنك لا تحبني بقدر ما تحب أسرتك ، وارتباطك بي ما هو إلا رغبة في التغيير ..

وعدتك بالزواج وسأفعل .. سعادتي معك وارتباطي بك حلمي المؤجل ..

أرفض أن أكون امرأة في الظل ، ولا أقبل أن تقاسمني إياك امرأة أخرى .

إننــي أبحث عن الاستقرار العاطفي والنفسي ، وهذا ما عرفته إلا معك ..

(١) ينظر رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ٦٩

منال أنت حبيبتي ، نعم حبيبتي إلى الأبد.

هذا الحب ما هو إلا سراب ، ولا طاقة لي بالاستمرار والتخبط في علاقة مصيرها محتوم سلفا ...

ومن الحوار الخارجي في الرواية ما دار بين صالح وأخته أمينة في مكالمة هاتفية ، فيخاطبها سائلا :

ما أخبار منال يا أمينة؟ هل ترينها؟ أصحيحٌ خبر زواجها؟

خبر الزواج صحيح، وينبغي أن تلتفت لنفسك، وتنساها، أمامك مهمة. وعودتك إلى عُمان لن تغير من الأمر شيئا، لقد غيرت (منال) رقم هاتفها، ومسحت أرقامك، وحذفت رسائلك، وصورك، من ذاكرة الهاتف ... وأنها رأتها كما لم ترها من قبل ، جميلة وسعيدة مؤمنة بصواب القرار الذي اتخذته ، وأنها تقضي جل وقتها في التجهيز لعرسها القريب ، ولقد أعادت إليَّ هداياك جميعها ، سلمتني إياها وهي تقول :

توقفت أمينة لحظة عن الحديث ثم سألت صالح :

صالح أتريد أن تعرف ما قالته منال ؟

ابتلع صالح صدمته ،وأطرق يفكر، ثم سأل أمينة بشفتين مرتجفتين :

أمينة تكلمي ،ماذا قالت ؟

قالت : صدقيني يا أمينة ما توقعت أن أرتبط يوما بصالح.. إنه ليس لي ، صالح له زوجة وأولاد إنهم أحوج مني إليه ؛ ومن أجلهم استعجلت نصيبي .

شعرت أمينة باستياء صالح فحاولت أن تخفف عنه قائلة :

الحب يا صالح يحتاج إلى تضحية ، والعاشق أعمى لا يميز بين الربح والخسارة ، وهذا الحب لن يجلب لك سوى الهم والكآبة ." [1]

(١) رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١١٢ ، ١١٣

فالحوار هنا يدل على إخلاص النصيحة من أمينة التي تعمدت فعلا أن تكون صريحة مع القبطان ، أخبرته بتفاصيل التفاصيل ؛ لتنتشل أخاها من سياط الذكريات التي تتداعى في قلبه المفجوع ..

تبين مما سبق أن الحوار الخارجي هو حديث الشخصية الذى يعبر عن مشاعرها ، ويكشف عن خبايا أحاسيسها وعواطفها ويبرز شعورها الباطني تجاه الأحداث والشخصيات الأخرى ويوضح طبيعتها ، ومدى وعيها بالحادثة التي يتخيلها المؤلف ، لذا فيعد الحوار الوسيلة الوحيدة لربط الشخصيات ببعضها واتصالهم اتصالا صريحا ومباشرا بالواقع الذى تعيش فيه شريطة الابتعاد عن نقل الواقع نقلا حرفيا ، بل على الروائي أن يختار ويحور ويأخذ ويترك ، ويضيف ويزين حتى يظهر الاختلاف بين الثوب الذى ترتديه في الواقع ، فيهذبه وينمقه ، وبذلك يصل إلى إمتاع القارئ حتى لا يشعر بالملل من حيث الشخصية المفردة عبر خيط السرد الطويل.

أما الحوار الداخلي فالغرض منه الكشف عن الشخصية وما يعتريها من غموض وقد ظهر ذلك في رواية الجوهرة والقبطان أيضا ، حيث إننا نجد الحديث النفسي للمؤلفة وذلك حتى تطلعنا على ما بداخل الشخصية من آمال ، فتجعل الشخصيات بذلك حية نابضة ، ويجرى في عروقها الدم ، وذلك نحو قول صالح حينما رأى السفينة ، وأصابه شعور لا يعرف كنهه إلا من عانقت روحه أجواء البحر ، فأخذ يردد في داخله : [1]

سبحان الله ، الفكرة لا تبلى ، تنتقل من جيل إلى آخر، ومن قرن إلى آخر .. !!

(١) رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ١٨

كذلك نجد صالح يهذي كالمحموم ينادي باسم محبوبته منال : [١]

منال .. منال ، ويردد :

شمس حياتي قد غابت .. حبيبتي تركتني للماضي وتزوجت .. قلبها من حجر .. !!

فهذا الحوار الداخلي يظهر لنا ما انتاب صالحا من حزن بعدما هجرته منال حتى أصبح يمني نفسه بدوام القرب إلى آخر الأجل ..

تبين من ذلك أن الحوار الداخلي يكون بلا صوت ويكون معبرا عن خبايا العالم النفسي للشخصية ، فتنكشف داخليا حتى تصبح أمام القارئ صفحة مفتوحة من كتاب ، وخاصة الشخصيات الرئيسية لاكتشاف الماضي الحافل أو الظروف الحاضرة التي تؤرقها أو لإزالة العوائق التي تقف بين الماضي والحاضر ، فهو حوار مع النفس تلجأ إليه الشخصية لتوضح عما في داخلها.[٢] ، وكان صالح يتساءل في داخله ، وقد ساورته الظنون التي جعلته لا يثق بأحد ، وبات كل شيء في نظره سوداويا : [٣]

هل أدرك هذا الرجل مدى انكساري وحجم جرحي فاستضعفني ، وأراد أن يضعني في موضع التابع ويسلبني أدواري ؟ !

فالحوار هنا لا يكشف إلا عن خوفه من طاقم الجوهرة ، أما طبيعة تلك العلاقة وتفاصيلها فلا ندركه إلا من خلال السرد ذاته.

---

(١) رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ٧٤

(٢) ينظر: دراسات في القصة العربية الحديثة ، محمد زغلول سلام ص٣١٧ (منشأة معارف الإسكندرية ، ١٩٨٣م) – وكذلك: قراءة في الرواية نماذج من نجيب محفوظ ، د. محمود الربيعي ، ص٥٩ (مكتبة الزهراء ، ١٩٨٥م).

(٣) رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ص ٨١

الخـاتمـة

الحمد لله الذي أنعم عليّ بفضله فأتممت هذه الدراسة؛ التي اجتهدت فيهـا؛ لأتلمس تجليات التشكيل الفني للرواية من خلال الجماليات المتجسدة فيها .

وهذه أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة :

أظهرت الدراسة مدى إمكانيات الكاتبة الفنية من خلال استخدامها للكثير من التقنيات الحديثة التي تجذب القارئ من جهة وتساعده في إبراز ما يريد قوله من جهة أخرى .

اعتمدت الكاتبة في رواية الجوهرة والقبطـان – بشـكل واضـح – علـى الواقعية ، بدليل اعتمادها على (تأريخ) الأحداث وزمانها ومكانها بالأيام والشهور والسنين .

اتسمت رواية الجوهرة والقبطان بوجود خيط متصل بين عتباتها والمقاطع السردية ، بدءا من العنوان ولوحة الغـلاف ومـرورا بالإهـداء والاسـتهلال ، ووصولا إلى العناوين الفرعية الداخلية ؛ لذلك حظيت العتبات النصية بخصوصية نسقية ذات أبعاد فكرية مترابطة .

توفرت الحبكة الروائية عند الكاتبة بصورة كبيرة، وكان لها دوراً مؤثراً في رواية الجوهرة والقبطان، مما أدى إلى تشويق المتلقي، وإثارة وجدانه ، وتحريك خياله .

أبرزت الدراسة مدى عناية الكاتبة بالزمان والمكان ، عندما استخدمت لهما الكثير من التقنيات الحديثة ، باعتبارهما هيكلا تقوم عليهما بنية الشكل الروائي.

أظهرت الدراسة تمكن الكاتبة من لغتها ، باعتبار اللغة عنصراً رئيساً فـي بناء الخطاب الروائي من جهة ، واستخدام التقنيات الحديثة التي تجذب القـارئ وتساعده في إبراز ما يريد قوله من جهة أخرى.

سلكت الكاتبة من حيث الأسلوب طرقا مختلفة أفادت الحدث ، وأعطته الحيوية ، وهذا ما جعل القارئ ينجذب إلى رواية الجوهرة والقبطان منذ اللحظة الأولى ، حيث إن للأسلوب دور مؤثر في نجاح أي رواية أو عمل فنى .

هذه أهم الجوانب البارزة في الدراسة ، والله أسأل أن أكون موفقًا فيما كتبت، وأن ينال هذا الجهد المتواضع القبول، والله من وراء القصد، وهو نعم المولى ونعم النصير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : المصادر والمراجع

١ــ الأدب المفرد لابن المغيرة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط ٣.

٢ــ الأدب وفنونه لعز الدين إسماعيل ، (ط١ ، دار النشر المصرية ، ١٩٥٥).

٣ــأركان القصة ، إ.م. فورستر ، ترجمة: كمال عياد ، (ط دار الكرنك القاهرة ، ١٩٦٠).

٤ــ الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي ، ياسين نصير ، ط دار الشئون الثقافية بغداد ، و (ط١ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ١٩٩٨).

٥ــ الأسس الفنية والعامة للنقد الأدبي الحديث (كتاب جامعي) ، د. محمدين محمد يوسف (كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط الجديدة).

٦ــ أسس النقد الأدبي الحديث ، إ.م فورستر (د.ط ، وزارة الثقافة ، دمشق ،١٩٦٦).

٧ــ الأسلوبية والبيان العربي ، د. محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون ، (الدار المصرية اللبنانية) القاهرة ، ١٤١٢-١٩٩٢).

٨ــ ألوان من القصة المصرية ، محمود أمين العالم (دار النديم ، القاهرة ، ١٩٧٠).

٩ــ البدايات ووظيفتها في النص القصصي ، صبري حافظ (الكرمل ، ع ٢٢/٢١ ، ١٩٨٦

١٠ــ البداية في النص الروائي ، صدوق نور الدين (ط١ ، دار الحوار للنشر ، ١٩٩٤).

١١ــ بلاغة السرد ، د. محمد عبد المطلب ، (ط١ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠١م).
١٢ــ بناء الرواية ، عبد الفتاح عثمان (مكتبة الشباب ، القاهرة ، د.ت ، بدون رقم طبعة).
١٣ــ البنية السردية ، عبد المنعم زكريا (دراسة ثلاثية خيري شلبي) ط ١ ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ٢٠٠٩م .
١٤ــ بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي : حميد الحمداني ، ط ٣ المركز الثقافي العربي ، بيروت ٢٠٠٠م
١٥ــ البنى السردية : عبد الله رضوان ، ط دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع عمان ، ٢٠٠٣م.
١٦ــ تاريخ الرواية الحديثة ، ر.م. ألبيرس، ترجمة : جورج سالم ، (منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٩٨٢م).
١٧ــ تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، آمنة يوسف ، (دار الحوار ، سورية ، ط١، ١٩٩٧م).
١٨ــ جماليات الألوان في القصيدة العربية ، محمد دياب ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، المجلد الخامس ، العدد الثاني .
١٩ــ جوانب من شعرية الرواية ، مقال ، د. أحمد صبره ، فصول (مجلد١٥، عدد٤ ، ١٩٩٧م).
٢٠ــ الحيوان للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط دار الجيل بيروت ١٩٩٢م .
٢١ــ دراسات في القصة العربية الحديثة ، محمد زغلول سلام (منشأة معارف الإسكندرية ، ١٩٨٣م)

٢٢ــ دراسات في نقد الرواية ، طه وادى (دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٩٤م).
٢٣ــ دروس في السيميائيات ، حنون مبارك (ط١ ، دار توبقال للنشر ، د.ت).
٢٤ــ دينامية النص ، محمد مفتاح ، ط المركز الثقافي العربي بيروت الطبعة الثانية .
٢٥ــ ذاكرة الشاعر ، جابر عصفور (الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٢م).
٢٦ــ الرمز والرمزية في الشعر المعاصر د. محمد فتوح أحمد ، (دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٨٤م).
٢٧ــ رواية الجوهرة والقبطان لزوينة الكلباني ، ط دار بيت الغشام للنشر والترجمة (سلطنة عمان – مسقط) الأولى ٢٠١٤م
٢٨ــ سحر النص من أجنحة الشعر إلى أفق السرد ، قراءات في المدونة الإبداعية لإبراهيم نصر الله ، لمحمد صابر عبيد طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١ ٢٠٠٨م
٢٩ــ سرديات الرواية العربية المعاصرة ، د. صلاح صالح (المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٣م).
٣٠ــ الشاعر واللغة ، مقال ، نازك الملائكة ص١٨ (مجلة الآداب ، بيروت ، العدد العاشر ، أكتوبر ١٩٧١م).
٣١ــ عتبات النص (البنية والدلالة) عبد الفتاح الحجمري ، ط ١ ، منشورات الرابطة ، الرباط ١٩٩٦م
٣٢ــ عتبات النص، جيرار جينيت ، طبعة دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٨٨م.

٣٣ــ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ط دار الطلائع بالقاهرة الطبعة الأولى ٢٠٠٦م

٣٤ــ العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي ، محمد فكرى الجزار ، (ط١ ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٨م).

٣٥ــ فن القصة ، د. محمد يوسف نجم ، (دار الثقافة ، بيروت).

٣٦ــ القاموس المحيط- للفيروزابادي- مطبعة البابي الحلبى ط٢ ، ١٩٥٢م

٣٧ــ قراءة في الرواية نماذج من نجيب محفوظ ، د. محمود الربيعي ، (مكتبة الزهراء ، ١٩٨٥م).

٣٨ــ القصة من خلال تجاربي ، عبد الحميد جودة السحار ، (دار مصر للطباعة ، مكتبة مصر ، سعيد جوده السحار وشركاه).

٣٩ــ لسان العرب لابن منظور ، (المجلد الأول ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٤م).

٤٠ــ متخيل الخطاب الشعرى (استراتيجية التناص) ، حمد مفتاح (دار التنوير للطباع والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م).

٤١ــ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير ، تحقيق: د. أحمد الحوفي ، (القاهرة ، دار نهضة مصر ، د.ت ،)

٤٢ــ المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ط٢ ، دار المعارف ، ١٩٧٣م.

٤٣ــ المغيب والمجسد ، مصطفى الضبع (ط١ ، دار الأدباء ، الكويت ، ٢٠٠٠م).

٤٤ــ مكونات السرد الفانتاتسيتكي ، شعيب حليفي (مجلة فصول ، المجلد الثاني عشر ، العدد الأول ، ١٩٩٣م).

٤٥ــ من يحكى الرواية؟ مقال من كتاب طرائق تحليل السرد ، كـايزيرز (ط١ ، اتحاد كتاب المغرب ، ١٩٩٢م).
٤٦ــ نظرية الأدب ، رينيه ويلك ، أوستن وارين ، ت: محيـى الـدين صـبحى (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، لبنان ، ١٩٨٧م).
٤٧ــ نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير ، ترجمة: ناجى مصطفى ، ص٩٧ (منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٩م).
٤٨ــ النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال (طبعة بيروت ، ١٩٧٣ ، طبعـة نهضة مصر ، د.ت).
٤٩ــ وجهة النظر ، مقال ، بوريس أوسبنكي (فصـول مجلـد ١٥ ، عـدد ٤ ، ١٩٩٧م).
٥٠ــ يوسف إدريس والفن القصصي، د. عبد الحميد عبـد العظـيم القـط (دار المعارف، ١٩٨٠م).